20 me année No 1014

Le Caire 8 — 12 — 1952

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٢٧٤٩٠

العدد ١٠١٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٩ ربيع الأول سنة ١٣٧٢ — ٨ ديسمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

القرآن والدستور

نشرت إحدى الصحف ذات يوم أن بعضا من علماء الأزهر قد اجتمعوا ليستنبطوا مما شرع الله فى الإسلام قوانين تحكم بها الدولة . فصادف هذا الخبر هوى فى نفوس قوم ، ونفورا فى نفوس آخرين ؛ وهتف أتباع هؤلاء فى بعض الحفلات قائلين : القرآن دستورنا ! وردعليهم أتباع أولئك هاتفين : الدستور قرآننا ! واستطار النبأ فى أجواء الأرض ففزع أصحاب الأموال فى أوربا ، واسترابت رجال الأعمال فى أمريكا ، وقال مرضى الهوى أو الجهل منهم : نكسة الداء ، ووثبة إلى الوراء ! فلم يسع السياسيين إلا أن ينتفوا من هذا الخبر ، ولا الأزهريين إلا أن يبرأوا من هذه التهمة !

أمر عجيب ! أإلى هذا الحد بلغ جهل الجهال بحكم القرآن فيصوروه هولة يفزّعون بها الناس حتى أهله ؟ إن كانوا من الذين يؤمنون بأنه من وحى الله فالله سبحانه لم ينسخه ولم يُنسه ، ولم يأت بخير منه أومثله . وإن كانوا من الذين يزعمون أنه من وضع الإنسان فماذا يخشون منه وقد جربوه ؟ لقد حكم الدنيا القديمة وهى همجية وفوضى ، يتولاها الهوى ، ويقودها الضلال ، ويسوسها الجهل ؛ فردها من الشرود المهلك ، وأقامها على الطريق المؤدى ؛ وأذاقها رغاء العيش المطمئن ، وكفل لها من الحرية والعدالة والمساواة والكرامة ما كفل بعضه الدستور . وما الدستور ؟ أليس هو فى حقيقته وجوهره معنى من معانى القرآن ينبثق عنه كما ينبثق الشعاع عن الشمس ؟

أعطوا الدستور ذوى الرأى من الراسخين فى علوم الدين أمثال عبد المجيد سليم ومحمود شلتوت يجدوا قرآنا كأول ما أنزل الله . وأعطوا القرآن أولى الرأى من المتضلعين من علوم القانون أمثال عبد الرزاق السنهورى وعبد الحميد بدوى يجدوه دستورا كآخر ما وضع الناس

أما القرآن الذى تخشونه فليس قرآن الله ، إنما هو قرآن مسيخ فسره جهال العلماء على قدر مافى عقولهم من قصور وزيغ ، ومافى نقولهم من خطأ وحشو ؛ فضيقوا سعته ، وحددوا شموله ، وعوقوا تقدمه ، وزيفوا صحيحه ، وشابوا صريحه ، ووقفوا به عند عصر معين ، فلا يقبلون إلا قوله ، ولا يجيزون إلا فعله ، ولا يعلمون أن عموم الرسالة المحمدية يقتضى أن تساير الزمن وتجارى الطبيعة ، حتى لا ينقطع ما بينها وبين ركب الحياة

وأما الدستور الذى تنكرونه ، فهو الدستور المهين الفاجز الذى يرضى أن تقوم باسمه دكتاتورية حزب ، وأن يقضى على حكمه طغيان ملك ؛ ثم لا يأنف أن يفسره عابث على هواه ، وأن يطبقه فاجر على مشيئته . فإذا لم يكن للدستور سند من روح الله يجعل الخروج عليه مروقا من الدين وفسوقا عن الإيمان ؛ وإذا لم يكن للدستور حام من إرادة الشعب يعصمه من جور الحاكم وبغى السلطان ، كان ضرره أكبر من نفعه ، وعدمه خيرا من وجوده

آمنوا بالقرآن تجدوا الدستور الحق ، وآمنوا بالدستور الحق تؤمنوا القرآن !

احمد حسن الزيات

على هامش الدفاع عن الشرق الأوسط

٢ـ الصراع العقائدى وعلاقته بفكرة الدفاع عن الشرق الأوسط

للدكتور عمر حليق

هل لروسيا مطامع استعمارية

لعل أولى مايجب أن نتساءل عنه ونحن فى صدد الحديث عن الدفاع عن الشرق الأوسط ما إذا كان للاتحاد السوفييتى مطامع «استعمارية» توسعية فى العالم الخارجى ؛ أم أن الخوف من عدوان المعسكر الغربى هو الذى يدفع روسيا إلى احتلال بعض المناطق فى شرق أوربا احتلالا مباشرا وقيام الحركة الشيوعية فى الدول المجاورة كما حدث فى الصين وتشيكسلوفاكيا واليونان ؟

هذا سؤال اختلف فى تحديد الجواب الصائب عنه دواسات المعنيين بالشؤون الروسية والملقين السياسين وأخصاء علم النفس الاجتماعى وتقارير البعثات الدبلوماسية الأجنبية القيمة فى موسكو — وكل هذه مواد استند إليها كاتب هذه السطور فى هذا البحث

فالمستر جورج كنان سفير أمريكا فى موسكو حاليا وأحد كبار الخبراء الأمريكان فى الشؤون الروسية يعتقد بأن ما لجأت إليه موسكو فى عالم ما بعد الحرب من توسع شمل شرق أوربا وسرب إلى الصين فاكتسحها وبنى له وكرا فى فرنسا وإيطاليا وغيرها — هذا التوسع ما هو إلا مغامرة سياسية استنبطتها العقلية السوفييتية ورجال الحكم السوفييت فى موسكو لخوفهم من أن يتركوا حدود الاتحاد السوفييتى معرضة لنفوذ الدول الرأسمالية التى يعتقد السوفييت بأنها لا بد من أن تشن على الاتحاد السوفييتى حربا تقوض النظام الشيوعى القائم فى روسيا . ومن رأى هذا الخبير الأمريكى كذلك أن الشعب الروسى (على نقيض رجال الحكم السوفييت) لا يرغب فى توسع إقليمى [1]

ومن ثم اقترح المستر كنان على حكومته لكى تضع حدا لهذا التوسع السوفييتى بأن تنشئ قواعد عسكرية قوية على حدود البلاد السوفييتية وتعزز دعائم الاستقرار الوالية لأمريكا فى الدول المجاورة للاتحاد السوفييتى كتركيا واليونان ، ومحاربة الأوكار الشيوعية القوية فى فرنسا وإيطاليا وغيرها من الدول المعرضة لانتشار الشيوعية . ثم كان مشروع مارشال لمعونة الدول الحليفة لأمريكا ، ومن ثم تمت بسرعة فائقة إقامة القواعد العسكرية الأمريكية فى شرق الجزيرة العربية وفى مطار الملاحة فى ليبيا والقواعد الهامة الأخرى فى شمالى إفريقيا العربية ؛ وبذلك يثبت الأمريكان لرجال الحكم السوفييتى بأنهم لن يهنوا أمام أى حركة توسعية سوفييتية جديدة وإنما يقاومونها بالسلاح (كما حدث فى كوريا) لعل رجال الحكم فى موسكو يعدلون عن مغامرتهم السياسية

ولما كان المستر كنان ومن يشاركه فى الرأى من خبراء الشؤون الروسية فى أمريكا وبريطانيا مؤمنين بأن الشعب الروسى لا يرغب فى توسع إقليمى فقد اقترح السفير على حكومته بأن تخصص الأموال اللازمة لبث الدعاية فى روسيا نفسها وفى المناطق الشيوعية الأخرى ضد رجال الحكم السوفييت فى مغامرتهم التوسعية هذه . وأخذت الحكومة الأمريكية بهذا الاقتراح وخصصت فى الميزانية العسكرية الأمريكية لعام ١٩٥١ مبلغ ١٠٠ مليون دولار لهذه الغاية . وقد احتجت روسيا على هذا وعرضت الموضوع على الجمعية العامة لهيئة الأمم فى دورة سنة ١٩٥١

والفريق الآخر من خبراء الشؤون الروسية فى المعسكر الغربى يعتقدون بأن التوسع السوفييتى فى أوربا الشرقية وفى الصين وفى سائر بقاع العالم ليس وليد العقلية السوفييتية فحسب؛ بل إنه وليد العقلية الروسية الشعبية الكامنة تحت الطبقة الماركسية الكثيفة التى تشبع بها صناع السياسة فى موسكو . وهذه العقلية الروسية هى الآن كما كانت فى أزمنة التاريخ الروسى السابقة فى عهود القياصرة والحكام التتر والمنغوليين راغبة فى التوسع الإقليمى

(١) — كتاب الدبلوماسية الأمريكية . تأليف جورج كنان طبعة سنة ١٩٥١

خارج حدودها ، لا لأنها تخاف العناصر المعادية لها في العالم الخارجي فحسب ؛ بل لأن التوسع الإقليمي غريزة في العقل الروسي. فهذا التوسع إذن من الخصائص الثقافية للخلق الروسي وليس وليد النظام الشيوعي السوفييتي القائم الآن في روسيا

ومن الطريف أن نستعرض التحليلات التي يستشهد بها أصحاب الرأي من خبراء الشؤون الروسية

الشخصية الروسية

ويقول هؤلاء [٢] بأن الشخصية الروسية منطوية على نفسها عاطفية تتضارب فيها الأزمات الروحية وفيها نزعة إلى الجدل الغامض والرغبة في الراحة والطمأنينة التامة. ومرجع ذلك إلى النكبات التي حلت بالشعب الروسي تحت سيطرة القياصرة (وقبلهم تجولند وجنكيزخان) وجبروتهم وعبوديتهم واسترقاقهم لأفراد الشعب الروسي . فهذه النكبات قد أوجدت في الشخصية الروسية رغبة ملحة في الاستقرار والطمأنينة ، وأولدفيها حباعميقا للوطن الروسي، وأذكى في الروس قومية عنيفة لا تتوانى عن الموت في سبيل الدفاع عن الوطن وصيانة حدوده من أطماع الخصوم . وهذه الرغبة في توطيد الاستقرار والطمأنينة والدفاع عن الوطن الروسي تتطور في حالات معينة بتأثير الأحداث السياسية فتميل إلى التوسع على حدود الوطن الروسي كوسيلة لضمانه وحراسته. ومن الصعب على العقلية التي من هذا القبيل أن تحدد المدى الجغرافي الذي ينتهي عنده توسعها الإقليمي خارج الوطن الروسي . وأصحاب هذا الرأي من خبراء الثقافة والتاريخ وعلم النفس الاجتماعي يعتقدون بأن الفلاح الروسي واسع الخيال — وخياله مستمد من هذه السهول الشاسعة الواسعة التي تهيمن على جزء كبير من الوطن الروسي — من حدود فنلنده إلى مياه بحر الصين — سهول لا نهاية لها يتصور العقل الروسي أن في نهايتها أسرارا رهيبة ، فمن السهول الآسيوية — خفقت جحافل التتر والمغول ، ومن السهول الأوربية شن نابليون وهتلر غزواتهما . وكم شط الخيال بالشخصية الروسية فدفعها إلى الرغبة الملحة في سبر غور هذه المجاهل البعيدة واكتشاف أسرارها ؛ ولكن طبيعة المعاش وقساوة القادر وصعوبة المواصلات لم تحقق في معظم الحالات للشخصية الروسية هذا الحلم . فإذا عادت إلى الحياة الواقعية ثارت على هذه الأسرار ثورة الناقم ؛ فإذا ناداها منادي الحرب ضد هذه الأسرار الغامضة — ضد هؤلاء الأعداء الذين يكمنون وراء الأفق البعيد ويضمرون للوطن الروسي شرا — لبت الشخصية الروسية النداء في حماس مندفع تشهد له بطولة الجندي الروسي في ميادين القتال

والأدب الروسي ملئ بوصف هذه السهول والأسرار الغامضة الرهيبة التي تكمن في أفقها البعيد ، ففي إنتاج « ترجنييف » الأدبي مادة غزيرة عن هذا وأوصاف متعددة له

كتب « ترجنييف » إلى مدام فيادون في عام ١٨٥٠ يقول :

« دعي روسيا بسهولها المترامية الأطراف الهادئة الساكنة الصامتة صمت أبي الهول تنتظره فإنها ستبتلعني فيما بعد . وإني لأرى نظراتها القاسية العميقة تحدق بي في حدة كما لو كانت عيونها من الصخر الأصم »

والواقع أن هذه العيون القاسية التي تخيلها « ترجنييف » تحدث فيه في عمق وقساوة ليست إلا هذا الأفق البعيد الذي يهيمن على السهول الروسية الشاسعة التي لا نهاية لها — نهاية غامضة محاطة بالأسرار لم تقو الشخصية الروسية ممثلة في الفلاح ورجل الشارع أن تقهرها ، ولذلك تولدت في هذه الشخصية خصائص اندفاعية قاسية تستميت في الصراع (العسكري والسياسي) لتفرج عن الشخصية الروسية هذه الأزمة النفسية التي تنتابها بين حين وآخر من الحوادث والملمات . ومن هنا يفسر علماء النفس الاجتماعي تقبل العقلية الروسية للمبدأ الفوضوي (النهلستي) فهذه الكلمة من اشتقاق المفكر الروسي المعروف نيقولاي شرنيشيفسكي الذي وصف للشعب الروسي في كتابه « ما الذي يجب عمله » « فردوسا » « فوضويا » تنعدم فيه المسؤولية ويسود الرخاء والحرية التامة ، فلا يشتغل فيه امرؤ إلا بمحض مشيئته ، وينعم فيه الفلاح براحة تامة يستطيع معها أن يسترخي مرتاحا وبجانبه قدح النبيذ ويداعبه النسيم الهادئ الرقيق فلا يعبأ بالأحداث الطارئة والقيود الثقيلة التي يتقيد بها المجتمع التقليدي للأفراد والجماعات . [٣] وهذا الوصف كما ترى تعبير يلائم كثيرا

(٢) — ومنهم « روبرت باين » تفكير العقلية الروسية

(٣) — من كتاب ماذا يجب عمله لنيقولا شرنيشيفسكي

مقومات الشخصية الروسية ورغبتها فى الراحة والاستقرار والطمأنينة وتجنب النكبات التى حاقت بها من غزوات التتر والمغول إلى طغيان القياصرة ومذابح نابليون وهتلر

وحين تعتقد الشخصية الروسية بأن هذا الفردوس لا يتحقق إلا إذا أمن شر ما وراء هذا الستار البعيد الذى يحد أفق السهول الشاسعة ، تنفعل فيتولد فيها عند الحاجة جماح عنيف ورغبة ملحة فى اختراق هذا الستار ، ومن ثم فليس من حرج على الشخصية الروسية أن تتقبل فكرة التوسع سواء تحت قيادة القياصرة أم بزعامة ستالين

ولقد سبق الثورة الشيوعية التى استولت على الحكم فى روسيا عام ١٩١٧ ميلاد الحركة الهلستية التى برزت قوية ذات بأس فى عام ١٨٧٠ والتى يعتقد بعض مؤرخى الحركة السوفيتية بأن البلشفيك قد تأثروا بها . فقد اعترف لينين فيلسوف الشيوعية السوفيتيه بتدينه الفكرى لبعض تعاليم (ناشايف) زعيم الحركة الهلستية التى من مبادئها التحلل من القيم الأخلاقية واعتناق مبدإ « الغاية تبرر الواسطة »

وعلى ذلك فإن طابع الصراع المسلح والحروب الروسية (الداخلية والتوسعية) ملئ بالعنف والتدمير الساحق . والتاريخ الروسى يسجل مذابح أهلكت فيها الأنفس بالآلاف ودمرت بها قطاعات بأكلها . فلا غرابة أن يقول الشاعر الروسى ألكسندر بلوك فى عنفوان الصراع السوفيتى الدامى للسيطرة على الحكم فى روسيا « إن ما نواجهه اليوم من مذابح ليس إلا صورة جديدة لمنظر قديم »

وحين نمى إلى « إيفان الخيف » إبان هجومه على (لنوغرود) بأن هذه المدينة تتفاوض سرا مع أعدائه ، لم ينتظر ليتحقق من صدق هذا التفاوض ؛ بل أسرع فضرب ضربته القاسية فأهلك ٦٠ ألف نسمة قتلا وحرقا وتنكيلا ، ولما تبين له خطأ حسابه لم يعتذر ولم يساوم ضحيته ، وتقبلت العقلية الروسية هذه الفظاعة على أنها أمر لا مفر منه وجزء من السلوك الروسى الذى لا يرحم فى الملمات

وبمثل هذه السلبية تقبلت العقلية الروسية فظائع الخان التترى الذى زحف من شبه جزيرة القرم متعقبا « إيفان الخيف » إلى موسكو فلم تسلم هذه المدينة القاسية إلا بعد أن أهلك الخان التترى نصف مليون من أهلها

وسلبية العقلية الروسية إزاء القساوة والعنف لا تقتصر على الصراع الداخلى والحروب الأهلية . فالتاريخ يسجل على نابليون قساوة رهيبة فى حملته الروسية ، وعلى جحافل هتلر فظاعة أهلكت النسل فى أكرانيا وروسيا البيضاء ، ومع ذلك فلم تجد العقلية الروسية وسلبيتها إزاء الأحداث الدامية غرابة فى أن تعود إلى مصادقة الألمان كما تدل على ذلك سياسة روسيا السوفيتية اليوم الداعية إلى الوحدة الألمانية . وسبب ذلك أن فى طبيعة الروس كثيرا من المرونة والانتهازية تتلون حسب الحاجة فتتلاءم مع الظروف والمناسبات

وثمة أمر آخر يتصل بسلوك العقلية الروسية إزاء العالم الخارجى؛ فإذا كنت متفقا مع أصحاب الرأى القائل بأن العقلية الروسية مدفوعة فى رغبتها بالتوسع واختراق الستار القائم فى أطراف الأفق البعيد — مدفوعة بالخوف مما يكمن وراء هذا الستار من أعداء شداد — إذا كنت على وفاق مع أصحاب هذا الرأى فإنك لن تنتظر من العقلية الروسية (والسوفيتية أيضا) — وهى ما هى عليه من مقومات خلقية — أن تكتفى بالتحصن على حدودها الطبيعية وتقبل الالتزامات الدولية والمعاهدات القانونية مع العالم الخارجى على أنه ضمان لهذا التحصن

ويقول لك أصحاب هذا الرأى بأن من الصعب على العقلية الروسية أن تتحصن فى حدودها الجغرافية وتترك العالم الخارجى وشأنه . فالرغبة فى التوسع ليست مدفوعة بنزعة استعمارية كامنة فى العقل الروسى بقدر ما هى تلبية لشعور عميق بالخوف مما وراء الأفق . فذكريات الحروب النابوليونية والهتلرية فى روسيا الأوربية ، وفظاعة الحروب المغولية اليابانية فى روسيا الآسيوية لا تزال حية فى التفكير الروسى شعبيا كان أم سوفيتيا

ومما لا ريب فيه أن استعداد روسيا السوفيتية اليوم عسكريا قد بلغ من القوة والمهارة بحيث يضمن الحدود الروسية الجغرافية إذا قيست الحروب بمقاييس الدفاع لا بمقاييس الهجوم . وامتلاك روسيا للقنابل الذرية وتفوقها فى السلاح الجوى والغواصات على

خصومها فى المعسكر الغربى لم يمتنع عن العقليه الروسية (والسوفييتية) الخوف من هـذا الخصم الخيف الذى يجثم وراء الأفق البعيد بقنابله الذرية يضرب بها موسكو والمدن الروسية فيعيد إلى الذاكرة تاريخ الغزوات النابوليونية والهتلرية والمغولية .

ومن الطريف أن الوفد الروسى فى هيئة الأمم المتحدة يرفض باستمرار أن يبحث مشاريع خفض التسلح ومراقبة القنبلة الذرية قبل أن يأخذ وعدا قاطعا بتحطيم القنابل الذرية الموجودة حاليا لدى الدول الكبرى قبل الشروع فى التفاوض على مشاريع خفض التسلح ومراقبة الإنتاج الذرى ؛ فهذا الإصرار مدفوع بهذه الخاصة — خاصة الخوف مما يكمن فى الأفق البعيد — التى هى جزء من مقومات الخلق الروسى القومى

وثقة الروس فى المعاهدات الدولية ثقة ضعيفة . فالواقع أن جوهر الخلاف بين المعسكرين المتطاحنين السوفييتى وحلف الأطلنطى هو أزمة فى الثقة ، فلا الروس واثقون من أن خصومهم سيتقيدون بالمعاهدات الدولية فيحترمون حدود الوطن السوفييتى ومنطقة نفوذه ، ولا الأمريكان واثقون من أن الحكومة السوفييتية تحترم المواثيق العالمية وتكف عن التوسع الإقليمى والسياسى والفكرى فى آسيا وأوربا

ولعل الأمريكان صادقون حين يعرضون فى هيئة الأمم المتحدة على الروس مشاريعهم لخفض التسلح ومراقبة القنابل الذرية وحل الخصومات السياسية بين الدول عن طريق المفاوضة السلمية واحترام الحدود الجغرافية والمواثيق الدولية وما يوفره القانون الدولى من معاول لصيانة السلم وإبعاد شر الحروب بواسطه الأمم المتحدة أو عن طريق المعاهدات الثنائية والمتعددة الأطراف ، وذلك لأن الأمريكان قد عاشوا فى عزلة عن العالم الخارجى طوال تاريخهم القصير فلم يسبق أن اعتدى عليهم عدو قاس كنابليون وهتلر وتيمورلنك . فحروب الأمريكان كانت حروبا خارجية فى ميادين تفصلها عن أمريكا قارات ومحيطات

ولكن من الصعب على العقلية الروسية والأوربية إجمالا أن تمد يدها إلى الخصوم بمثل هذا الصفاء ، وأن تأخذ المعاهدات الدولية لصيانة السلم فى طيبة قلب وثقة تامة . فقد مر بالشعوب الأوربية (روسية وغير روسية) أحداث خرقت فيها العهود وأصيبت هذه الشعوب من جراء ذلك بالأحداث والويلات والكوارث

فلا غرابة إذن أن تلمس اتجاها ملحوظا بين دول أوربا الغربية فى مخالفة الأمريكان فى سياستهم نحو الاتحاد السوفييتى . فحين قدمت موسكو فى الآنة الأخيرة عروضا جديدة لحلفاء الغرب لتسوية المشكلة الألمانية وتفادى إحياء البأس العسكرى الألمانى . وجدت هذه العروض الروسية صدى حسنا فى أوربا الغربية بينما أصر الأمريكان على رفض هذه العروض الروسية . فذكريات الحربين العالميتين الأخيرتين والحروب الأوربية السابقة لاتزال تؤثر فى عقلية الرجل الأوربى فتجعله أميل إلى مساومة الروس منه إلى الدخول معهم فى حرب طاحنة : أما الأمريكى فلا يزال فى باطنه « انعزاليا » يعتقد بأنه مستطيع أن يربح أى حرب جديدة يشترك فيها دون أن يجعل الوطن الأمريكى ميدانا . ومن ثم نستطيع أن نفسر حماس الأمريكان لإنشاء القواعد العسكرية فى أوربا وآسيا وإفريقيا وبذل المال والجهد لتقوية الجيوش الأوربية الحليفة وتنظيم الدفاع عن الشرق الأوسط وإعادة البأس العسكرى لليابان على احتساب أن اليابان خصم تقليدى للاتحاد السوفييتى

نيويورك — للكلام بقية — عمر حليق

من سير الخالدين

حياة المازني*

للأستاذ محمد محمود حمدان

(قل بين الصبيان من اتفق له ما اتفق لى من التجارب) « المازنى »

— ٢ —

بداية الشوط

انتقل المازنى إلى مرحلة جديدة ، أو منتظمة ، فى الدراسة عندما دخل المدرسة « القربية » على مقربة من داره . وكانت على عهده كما يصفها :

« مثلما ضمت سبيل من صنوف الخلق وفدا
أو كيوم الحشر ، أو وقفة عرفات على الأقل » . وكان ناظرها جاراً وصديقاً لأبيه . فأفادته هذه الصداقة اهتمام الناظر به ورعايته لشأنه ، كما أنزلته بين أترابه التلاميذ منزلة مرموقة ، فجعلوه رسولا بينهم وبين الناظر يتصلون به إلى إجابة مطالبهم وتحقيق رغائبهم .

وكان الطفل أعلم بموطن الضعف فى نفس ناظره ، فما كان يأتيه من ناحية صداقته لأبيه وكفى ، بل يتحرى فى مخاطبته أن ينعته دائماً بلقب « البكوية » ، وكان حديث عهد به ، فلا يقصده مرة ويكرر على سمعه هذا اللقب مرات ، حتى يرتد مطيب الخاطر مقضى الرغبة مستجاب الرجاء .

ويذكر المازنى أنه كانت فى هذا الناظر سذاجة عجيبة ، وأنه كان جاهلا وإن تظاهر بالعلم بكل شىء . ومن نوادره التى يرويها أنه دخل يوماً إحدى الفرق وكان الدرس درس ترجمة . . « وكان المعلم غائباً ، ولم يكن هو يعرف ذلك وإن كان فيما يزعم إداريا حاذقاً . ولكنه سمع ضجتنا العالية فسأل فقيل له إن هذه الفرقة ليس فيها معلم ، فلم يندب غيره بل جاء هو إلينا بنفسه — وبطوله وعرضه — وسألنا « مالكم يا أولاد ؟ » قلنا « ياسعادة البك المعلم غائب » . قال « الدرس إيه ؟ » قلنا « ترجمة ياسعادة البك » . فانشرح صدره واغتبط وأيقن أنه سيظل يسمع منا ما يسره فقال « طيب ، وإيه يعنى ؟ » . فقلنا ياسعادة البك لم نفهم الدرس السابق ياسعادة البك » . فسأل عن هذا الدرس السابق الذى استعصى علينا فقلنا له إنه كان يحاول أن يعلمنا النفى فى اللغتين العربية والإنجليزية ولكنا لم نفهم عنه . فأعرب لنا بعبارات صريحة عن دهشته وتعجبه لوزارة المعارف التى تعين مدرسين لا يحسنون تفهيم التلاميذ ، وأكد لنا أنه يعطف علينا لأننا نؤدى للوزارة أجور التعليم كاملة ولا نتعلم مع ذلك شيئاً . ثم قال إن المسألة بسيطة وإن النفى سهل جدا وإن أدواته فى اللغة العربية معروفة وهى « لا ولم وإن الخ » والأمثلة سهلة ومعروفة ، وشرع يسوق الأمثلة فلما بلغ « لم » قال « مثلا . . لم كتب . لم ضرب . لم ذهب » فانفجرنا ضاحكين ولنا العذر . فلما سكنت العاصفة بعض السكون قال يوبخنا ويزجرنا ويعظنا « تضحكون ؟ إسكون .. إسكون » فلم يبق منا طفل على مقعده من شدة الضحك . ولم يسكتنا الخوف منه ، وإنما أسكتنا الألم الذى صرنا نحسه فى بطوننا من الضحك الطويل » .

ومن معلميه فى هذه المدرسة شيخ كانوا يسمونه فيما بينهم « الأسد » وكان قاسياً غليظ الكبد سريع الغضب ، ومن لوازمه « خيزرانة » قصيرة يدسها فى طيات ثيابه . . « وقد أطعمنيها مراراً كثيرة ، وذاقتها كفاى وذراعاى وساقاى وظهرى وعرفت طعومها كلها بالخبرة الطويلة والتجربة المعتادة » .

وإلى هذه المدرسة ، أو إلى معلم الخط فيها ، يعزو المازنى رداءة خطه ، وحكاية ذلك ما نرويه هنا عنه .

« كان الشيخ الذى يعلمنا الخط وحشاً ، أعنى أنه لم يكن وحشاً حقيقيا ، وإنما كان وحشاً آدميا غليظ القلب منحوس الضريبة ، وكان بناء المدرسة عتيقا متداعيا ، والأبواب ذات مصراع واحد ، وكانت إذا فتحت تسند بالحجارة . فكان هذا الشيخ لا يعاقب التلاميذ إلا بشىء واحد . يضع الواحد راحته على المكتب ، ويجىء الشيخ بحجر الباب ويدق به عقل الأصابع . وكان هذا عقابه الوحيد على رداءة الخط ، وعلى كل خطأ أو ذنب يرتكب . فكيف يرجى ممن تدق أصابعهم بالحجارة أن يحسنوا الخط ويجيدوا الكتابة ؟ فهذا سبب أن خطى ردىء » .

وأتم الطفل دراسته الابتدائية . وجاء أخوه الأكبر إلى أمه يشير عليها بأن تكتفى من تعليمه بهذا القدر . على أنها أبت ذلك وأصرت على إبائها حين ألح عليها ، حتى أنذرها ذلك الأخ أنه مانع عنهما بعد ذلك معونته وقابض يده . ولعل هذه الحادثة قد زادت المازنى الطفل شعوراً بوطأة الفقر وحنقاً عليه ، ودفعته إلى بذل الجهد فى سبيل تحقيق رغبة أمه فى أن يتم تعليمه إلى نهايته . وكانت الأيام قد أنضجته وتقدمت به فساعده ذلك على أن يصمد لتجارب الحياة وأن يستوعب جيداً دروسها القاسية

ودخل المازنى المدرسة الخديوية وهو على أعتاب الشباب . ولعل هذه الفترة – فترة الدراسة الثانوية – كانت بداية التكوين الحقيقى للرجل الذى صاره من بعد . ولعلها كذلك كانت بداية ميله إلى القراءة والأدب ، فما كانت الدراسة الابتدائية لتسمح بإظهار مثل هذا الميل ، فضلا عن أن سنه لم تكن تهيؤه قبل ذلك للقراءة الواسعة أو الصبر عليها

ولا يشير المازنى كثيراً إلى فترة دراسته الثانوية فيما كتب عن ذكريات طفولته وصباه ، فلعلها قد تقضت فى الجد الصرف من ناحية مشقة التحصيل ، وفى محنة قاسية من شظف الرزق والعيشة . على أنه يحدثنا أنه فى أخريات هذه الفترة – وكان قد بلغ السادسة عشرة – اعترضت الحمى طريقه وألحت وطأتها عليه ، وقضى طيلة صيف ذلك العام وهو يعانى وقدتها . ويقول « فى إحدى الليالى ثقلت على وطأة المرض جدا ، حتى جزعت أمى على ما أخبرتنى بعد ذلك ، وكادت توقن أنى هامة اليوم أو الغد ، لولا أن الأم لا تفقد أملها . وكنا فى بيت كل غرفة فيه تصلح أن تكون ساحة أو ملعباً ، وكانت نوافذ الحجرة التى أرقدفيها تطل على فناء البيت وفيه شجرة جميز عظيمة ، تصل أغصانها الذاهبة فى الهواء إلى النوافذ ، وكنا نضع قلل الماء على أحد هذه الشبابيك لتبرد ، فحدث أن مدت أمى يدها إلى قلة تريد أن تشرب ، فقلتت القلة من بين أصابعها وهوت إلى أرض الفناء ففزعت أمى واضطربت جدا ، وكبر فى ظنها أن هذا نذير بموتى ، وخطر لها أن تنحدر إلى الفناء فى فحمة الليل لترى أسلمت القلة أم تحطمت . . ومن العجائب أن القلة لم يصبها سوء ، ولعل ذلك لأنها وقعت على أرض رخوة طرية كثيرة البلل تحت ظل الشجرة . وقد حدثتنى أمى بعد ذلك وهى تروى لى هذه القصة أنها بكت وأنها عجزت عن القيام ، فظلت قاعدة على الأرض غير عابئة بالبلل ، والرطوبة والوحل ، وفى يدها القلة ، والدموع تنهمر من عينيها ؛ دموع الأمل والاستبشار . وقضت ساعة فيما تحس ، ثم نهضت فصعدت ، ودنت منى وأنا نائم ، ولمست وجهى بكفها ، مترفقة محاذرة ، مخافة أن توقظنى ، فإذا أنا أتصبب عرقاً ، وإذا بثيابى كلها – كما قالت – عصرة . وأصبحت وقد ذهبت عنى وقدة الحمى وأخذت أتماثل »

ويتحدث المازنى عن الفرق بين الدراستين الابتدائية والثانوية فيقول : « إن التعليم الثانوى كان انتقالا بأدق المعانى ، فقد صار كل ما فى المدرسة إنجليزيا – الناظر والمدرسون والتعليم – ماعدا اللغة العربية ، ولم يكن تدريس اللغة العربية خيراً من تدريسها فى الوقت الحاضر ، ولكنا كنا أقوى فيها من تلاميذ هذا الزمان – لا أدرى لماذا ؟ – وكان المفتش الأول للغة العربية المرحوم الشيخ حمزة فتح الله ، وكان من أعلم خلق الله بها وبالصرف على الخصوص ، وكان وجلا طيباً ووقوراً مهيبا ، فكان إذا دخل علينا يسرع المدرس إليه فيقبل يده فيدعو له الشيخ ، ولا نستغرب نحن شيئاً من ذلك ، بل نراه أمراً طبيعيا جدا . وأعتقد أن منظر أساتذتنا وهم يقبلون يد الشيخ حمزة كان من أهم ما غرس فى نفوسنا حب معلمينا وتوقيرهم ، فإنى أرانى إلى هذه الساعة أشعر بحنين إلى هؤلاء المعلمين ولا يسعنى إلا إكبارهم حين ألتقى بواحد منهم وإن كنت لم أستفد منهم شيئاً يستحق الذكر » .

وللمازنى مع الشيخ حمزة فتح الله حادثة طريفة لا تخلو من دلالة . وكان يؤدى الامتحان الشفوى فى الشهادة الثانوية ، والشيخ رئيس لجان اللغة العربية . وندع المازنى يروى بقلمه قصته مع الشيخ :

« لما جاء دورى اتفق أنه كان موجوداً ، فلما انتهت المطالعة وجاء دور المحفوظات وكان لها مقرر مخصوص سألنى ماذا أحفظ؟ وكنت فى صباح ذلك اليوم قد قرأت خطبة قصيرة للنبى صلى الله عليه وسلم فملقت بذهنى وألهمنى الله أن أقول إنى أحفظ خطبة للنبى ، ففرح الشيخ جدا وخلع حذاءه وصاح « قل ياشاطر ، قل ياشاطر فتح الله عليك » وسترنى الله فلم أخطىء ، واكتفى الشيخ بهذا وأعفانى من النحو والصرف والإعراب » .

وقد التقى المازنى بالشيخ مرة أخرى . وكان اللقاء فى هذه المرة

٦ ـ الميسر والأزلام

للأستاذ عبد السلام محمد هارون

العامل الدينى :

كان « هبل » أعظم صنم لقريش فى مكة ، وكان مكانه فى جوف الكعبة ، وفيه يقول ابن الكلبى [1] : « وكان فيما بلغنى من عقيق أحمر ، على صورة الإنسان ، مكسور اليد اليمنى ، أدركته قريش كذلك فجعلوا له يداً من ذهب » . وهو الذى قال له أبو سفيان بن حرب حين ظفر يوم أحد :

أعل هبل !

— أى أعل دينك — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

الله أعلى وأجل ! !

عند هذا الصنم الجليل القدر لديهم كانت توضع « الأزلام » ، ويقوم الكهان أو السدنة بإجالتها وإفاضتها لمن يريد الاستقسام ، إعظاما للأمر الذى ينوونه ، فهم يختارون موضع القضاء فى أقدس مكان لهم ، وإعظاما للحكم الذى يرتضونه ، فإن الذى حكم به هو سادن الكعبة ، أو أحد كهانهم

فكانوا يذهبون إلى « هبل » ، ومعهم (مائة درهم) و (جزور) ، ويعطونها لصاحب القداح الذى يضرب بها [2] ، ثم يقربون صاحبهم الذى يريدون الحكم فى نسبه إن أرادوا ، ثم يقولون : « يا إلهنا ، هذا فلان بن فلان قد أردنا به كذا وكذا ، فأخرج الحق فيه ! » ثم يقولون لصاحب القداح : اضرب ! فيجيل القداح ويفيضها ، فإن خرج (منكم) كان منهم وسيطا ، وإن خرج (من غيركم) كان حليفا ، وإن خرج (ملصق) كان على منزلته ، لا نسب له ولا حلف

وإن استشاروه فى أمر يقتضى (نعم) أو (لا) فخرج (نعم) عملوا به ، وإن خرج (لا) أخروا الأمر عاماً كاملا ثم أتوا مرة

(١) الأصنام ص ٢٨

(٢) قال أبو حيان فى تفسيره : « فالمائة للضارب بالقداح ، والجزور ينحر ويؤكل »

عاصفاً ، تجلى فيه غضب الشيخ الحليم وتحفز الطالب الطلعة . ولا بأس أن نوردهنا حديث ذلك اللقاء وإن كنا نسبق بذلك ترتيب الحوادث قليلا ؛ فقد كان المازنى يومئذ فى آخر عهده بمدرسة المعلمين ، وكان يؤدى الامتحان النهائى للتخرج ، وكانت لجنة الامتحان الشفوى فى اللغة العربية برياسة الشيخ حمزة ومن أعضائها الشيخ عبد العزيز شاويش والأستاذ عاطف بركات . .

« فقال أحد إخوانى بعد خروجه من الامتحان أن الشيخ حمزة يفتح كتاب النحو والصرف ويطلب من الطالب أن يتلو الفصل الذى يقع عليه الاختيار . ولم نكن ندرس لا نحواً ولا صرفاً فى المدرسة لأن الدراسة كانت مقصورة على الأدب . فأيقنا بالفشل وجاء دورى فدخلت وأنا واثق من الرسوب وجلست أمامه فناولنى كتاب مقدمة ابن خلدون فقرأت . ولا أزال أذكر فاتحة الكلام وهى « إعلم أن العدوان على الناس فى أموالهم ذاهب بآمالهم فى تحصيلها » إلى آخره ، فقال ضع الكتاب فوضعته . فسألنى عن العدوان والفعلين عدا واعتدى وانتقلنا إلى الصيغ المختلفة التى يكون عليها الفعل « اعتدى » مثل «اعتديا» للماضى المثنى و « اعتديا » للأمر ، فسألنى لماذا كان الماضى بالفتح والأمر بالكسر فلم أعرف لهذا سببا وقلت إنه لا سبب هنالك سوى أن العرب نطقوا بها هكذا . فدهش لهذا الجواب وقال ولكن لهذا سببا . قلت إن اللغة سبقت النحو والصرف ، وكل هذه القواعد موضوعه بعدها ، وما دمت أنطق كما كان العرب يفعلون فإن هذا يكفى ولا داعى للبحث عن سبب مختلق . فغضب وظهر هذا على وجهه فلم أبال بغضبه ، وحدثت نفسى أنه خير لى وأكرم أن أسقط بحماقة من أن تكون علة سقوطى الجهل . وأصررت على رأيى وكاد يحدث مالا يحمد ، لولا أن المرحوم الشيخ شاويش تدارك الأمر ، فقد نظر فى ساعته ثم التفت إلى الشيخ حمزة وقال « العصر وجب يامولانا » فنهض الشيخ وهو يقول « إى نعم » وذهب للصلاة ونسينى فكان فى هذا نجاتى » .

للكلام بقية

محمد محمود حمدان

أخرى يستقسمون بالأزلام [٣]

بهذا العامل الدينى ، وبهذا الشعور الروحى الوثنى استقسم عبد المطلب بن هاشم مرتين :

١ — فى حفر بئر زمزم [٤] ، حينما أمر فى منامه عدة مرات بحفرها ، وقام ليقضى ما كتب عليه فى منامه ، لحفر فى البئر — ولم يكن له من الولد حينئذ إلا الحارث بن عبد المطلب — فلما تمادى به الحفر وجد فيما حفر غزالين من ذهب خالص ، ووجد أسيافا قلعية وأدراعا ، فقالت له قريش : يا عبد المطلب ، لنا معك فى هذا شرك وحق !! قال : لا ، ولكن هلم إلى أمر نصف بينى وبينكم ، نضرب عليهما بالقداح . قالوا : وكيف نصنع ؟ قال : أجعل للكعبة قدحين ، ولى قدحين ، ولكم قدحين ، فمن خرج له قدحاه على شئ كان له ، ومن تخلف قدحاه فلا شئ له . قالوا : أنصفت ! فجعل قدحين (أصفرين) للكعبة ، وقدحين (أسودين) لعبد المطلب ، وقدحين (أبيضين) لقريش [٥] ، ثم أعطوا تلك القداح لصاحب القداح التى يضرب بها عند « هبل » ، فضربها على الغزالين فخرج (الأصفران) فكانا من نصيب الكعبة ، ثم ضربها أخرى على الأسياف والدروع فخرج (الأسودان) فكانا من نصيب عبد المطلب ، وتخلف قدحا قريش لم يظفرا بشئ . فضرب عبد المطلب الأسياف باباً للكعبة ، وضرب فى الباب الغزالين من ذهب ، فأرضى بذلك نفسه وشعوره الدينى العميق ، وحسم الخلاف بينه وبين قومه بما حكم به « هبل » ، وهو الذى لا يرد له قضاء !!

٢ — والمرة الثانية حينما نذر حين لقى من قريش مالقى عند حفر بئر زمزم واستخفافهم به لقلة ولده [٦] : لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعوه لينحرن أحدهم لله عند الكعبة !! فلما توافى بنوه عشرة وعرف أنهم سيمنعونه جمعهم ثم أخبرهم بنذره ، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك ، فأطاعوه وقالوا : كيف نصنع ؟ قال : ليأخذ كل رجل منكم قدحا ثم يكتب فيه اسمه ثم ائتونى . ففعلوا ثم أتوه ، فدخل بهم على « هبل » فى جوف الكعبة ، وكان منصوبا على بئر يجمع فيها ما يهدى إلى الكعبة . فلما أخذ صاحب القداح القداح ليضرب بها قام عبد المطلب عند « هبل » يدعو الله جاهدا ، ثم ضرب صاحب القداح فخرج القدح على (عبد الله) وهو أعز ولده عليه ، فأخذ عبد المطلب بيده وأخذ الشفرة ، ثم أقبل به إلى إساف ونائلة [٧] ليذبحه ، فقامت إليه قريش من أنديتها ، وكذلك قام بنوه ، فقالوا : والله لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه ! لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتى بابنه حتى يذبحه ، فما بقاء الناس على هذا ؟!

وكان أن لجئوا إلى عرافة فى « خيبر » يسألونها فى ذلك ، فقالت : كم الدية فيكم ؟ قالوا : عشر من الإبل . قالت ، فارجعوا إلى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشراً من الإبل ، ثم اضربوا عليه وعليها بالقداح ، فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم ، وإن خرجت على الإبل فانحروها فقد رضى ربكم ونجا صاحبكم !

فرجعوا إلى مكة ، وضربوا بالقداح بين عبد الله وبين عشر من الإبل ، فخرج القدح على (عبد الله) ! فزادوا عشرا وضربوا ، ثم زادوا عشرا وعشرا حتى بلغت مائة ، فضربوا فخرج القدح على الإبل ، فقالت قريش ومن حضر : قد انتهى رضا ربك يا عبد المطلب . فزعموا أن عبد المطلب قال : لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرات ! فضربوا ثلاث مرات توثيقا للأمر ، كل ذلك يخرج القدح على الإبل المائة . فنحرت ثم تركت لا يصد عنها إنسان ولا يمنع

فهاتان الحادثتان تدلان على مقدار خضوع سادة العرب وأشرافها لحكم الأزلام ، ومبلغ اضطرارهم وتقديسهم لأحكامها

تعريس الأزلام

وبلغ من تقديسهم للأزلام أنهم جعلوا فى البيت الحرام صورة لإبراهيم عليه السلام ، وفى يده الأزلام التى يستقسم بها [٨]

(٣) السيرة ٩٧ — ٩٨ جوتنجن
(٤) السيرة ٩١ — ٩٧
(٥) هذا دليل آخر على أن أزلام الاستقسام لم تكن ذات نمط واحد ، أو نظام واحد
(٦) سبق القول أنه لم يكن له من ولده عند حفر زمزم إلا ولد واحد ، هو الحارث

(٧) إساف ونائلة : صنمان كان بمكة ، جعل أحدهما بلصق البيت والآخر بزمزم ، وكان ينحر عندهما ، وكانت الجاهلية تمسح بهما . ياقوت
(٨) انظر السيرة ٨٢١

وفى حديث فتح مكة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل البيت فرأى إبراهيم وإسماعيل بأيديهما الأزلام[٩]

قال ابن هشام[١٠] : « وحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم ، فرأى إبراهيم عليه السلام مصورا فى يده الأزلام يستقسم بها ، فقال : قاتلهم الله ، جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام ؟ ما شأن إبراهيم والأزلام ؟! ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ، ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين . ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست »

وفى مسند أحمد[١١] برقم ٣٠٩٣ عن ابن عباس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة فأمر بها فأخرجت ، فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، فى أيديهما الأزلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم الله ! أما والله لقد علموا ما اقتسما بها قط »

الأزلام فى التاريخ الدينى القديم

نص القرآن الكريم على حادثين اثنين كان للأزلام فيهما نصيب ، ولكنها لم تكن على ما كانت عليه عند العرب من التقديس الوثنى ، بل كانت بمثابة القرعة التى سيأتى الكلام عليها :

الحادث الأول أشار إليه الكتاب الكريم فى قوله تعالى : « وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم » آل عمران ٤٤

والحادث الثانى أشار إليه قصة يونس : « فساهم فكان من المدحضين » . الصافات ١٤١

١ — أما الأول فهو ما كان من أمر زكرياء عليه السلام . روى أن حنة حين ولدت مريم لفتها فى خرقة وحملتها إلى المسجد فوضعتها عند الأحبار أبناء هارون — وهم فى بيت المقدس كالحجبة فى الكعبة — فقالت لهم : دونكم هذه النذيرة ! فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم ، وكانت بنو ماثان رءوس بنى إسرائيل وملوكهم ، فقال لهم زكريا : أنا أحق بها ، عندى خالتها . قالوا : لا حتى نقترع عليها . فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين إلى نهر الأردن فألقوا فيه (أقلامهم) ، فارتفع قلم زكريا ورسبت أقلامهم فتكفلها

واختلف المفسرون فى هذه الأقلام فقال بعضهم : هى أقلام الكتابة كانوا يكتبون بها التوراة ، فاختاروها للقرعة تبركا بها

وقال بعضهم : الأقلام هنا الأزلام ، وهى القداح

وقال أبو مسلم : كانت الأمم يكتبون أسماءهم على سهام عند المنازعة ، فمن خرج له السهم سلم له الأمر . وهو شبيه بأمر القداح التى يتقاسم بها الجزور[١٢]

وقال ابن قتيبة[١٣] : وكانوا تشاحوا فى كفالتها ، فضربوا بالقداح ، وهى الأقلام ، فخرج قدح زكريا فكفلها

٢ — وأما الثانى فما كان من أمر السفينة التى ركب فيها يونس عليه السلام فرارا من قومه ، حين ذهب مغاضبا ، فلما أبعدت السفينة فى البحر ويونس فيها ركدت ، فقال أهلها : إن فيها لمن يحبس الله السفينة بسببه فلنقترع . فأخذوا لكل منهم سهما على أن من طفا سهمه فهو ، ومن غرق سهمه فليس إياه . فطفا سهم يونس ، ففعلوا ذلك ثلاثا تقع القرعة عليه ، فأجمعوا على أن يطرحوه ، فألقى بنفسه فالتقمه الحوت[١٤]

وقصة يونس هذه — وتسمية كتب العهد القديم يونان — مذكورة بتفصيل فى سفر « يونان » ، جاء فى الإصحاح الأول :

« فقام يونان ليهرب إلى « ترشيش » من وجه الرب ، فنزل إلى يافا ووجد سفينة ذاهبة إلى ترشيش ، فدفع أجرتها ونزل فيها ليذهب معهم إلى ترشيش من وجه الرب . فأرسل الرب ريحا شديدة إلى البحر فحدث نوء عظيم فى البحر حتى كادت السفينة تنكسر . فخاف الملاحون وصرخوا كل واحد إلى إلهه وطرحوا الأمتعة التى فى السفينة إلى البحر ليخففوا عنهم . وأما يونان فكان قد نزل إلى جوف السفينة واضطجع ونام نوما ثقيلا. فجاء إليه رئيس النوتية وقال له : مالك نائما . قم اصرخ إلى إلهك

---

(٩) اللسان (قسم)

(١٠) السيرة ٨٢١ — ٨٢٢

(١١) الجزء الخامس بتحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر . وانظر أيضا رقم ٣٤٥٥ من المسند

(١٢) تفسير أبى حيان (٢ : ٤٤٢ ، ٤٥٨ — ٤٥٩) وكذا تفسير الزمخشرى (١ : ١٤٣)

(١٣) الميسر والقداح ٣٨

(١٤) تفسير أبى حيان (٢ : ٤٥٩)

عسى أن يفتكر الإله فينا فلا نهلك . وقال بعضهم لبعض : هلم نلقى قرعا لنعرف بسبب من هـذه البلية . فألقوا قرعا فوقعت القرعة على يونان . فقالوا له : أخبرنا بسبب من هـذه المصيبة علينـا . ما هو عملك ومن أين أتيت ؟ ما هي أرضك ومن أى شعب أنت ؟ فقال لهم : أنا عبرانى وأنا خائف من الرب إله السماء الذى صنع البر والبحر . فخاف الرجال خوفا عظيما وقالوا له : ماذا نصنع بك ليسكن البحر عنـا . لأن البحر كان يزداد اضطرابا . فقال لهم : خـذونى واطرحونى فى البحر فيسكن البحر عنكم لأننى عالم أنه بسببى هـذا النوء العظيم عليـكم » .. « ثم أخذوا يونان وطرحوه فى البحر فوقف البحر عن هيجانه ، فخاف الرجال من الرب خوفا عظيما وذبحوا ذبيحة للرب ونذروا نذورا : وأما الرب فأعد حوتا عظيما ليبتلع يونان ، فكان يونان فى جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال »

وبعد أن يسرد سفر (يونان) صلوات (يونان) فى جوف الحوت يقول : « وأمر الرب الحوت فقذف يونان إلى البر »

فهاتان القصتان على ما فيهما من حمل المفسرين الأقلام فيهما والمساهمة على معنى أزلام الجاهلية ، لا ريب أن ما فيهما من صنيع هو بعيد كل البعد عن صنيع أهل الجاهلية فيما كانوا يحملون لتلك الأزلام من قداسة ومن شرائط دينية وتقاليد خاصة ، وإنما هاتان ضرب من (القرعة) لا يزيدان عن تلك شيئا ولا ينقصان شيئا

والنص الذى سقته من سفر يونان مؤيدا أنها قرعة بعيدة عن الاستقسام الوثنى

التمرد على الأزلام

وقد بدت ظاهرة من ظواهر التمرد على تلك الأحكام الدينية فيما رواها ابن الكلبى [١٥] من أن امرأ القيس بن حجر أقبل يريد الغارة على بنى أسد ، فمر بذى الخلصة — وكان صنما بتبالة [١٦] — وكانت العرب جميعا تعظمه ، وكانت له ثلاثة أقداح : الآمر ، والناهى ، والمتربص . فاستقسم عنده ثلاث مرات فخرج (الناهى) فكسر القداح وضرب بها وجه الصنم وقال : « عضضت ب ... أبيك ! لو كان أبوك قتل ما عوقتنى ! »

ثم قال فى ذلك :

لو كنت ياذا الخلص الموتورا مثلى وكان شيخك المقبورا
لم تنه عن قتل العداة زورا

ثم غزا بنى أسد فظفر بهم

قال ابن الكلبى : « فلم يستقسم عنـده بشئ حتى جاء الله بالإسلام ، فكان امرؤ القيس أول من أخفره »

(البحث بقية) عبد السلام محمد هارون

(١٥) فى كتاب الأصنام ص ٤٧ ، وعنه ياقوت فى معجم البلدان(الخلصة)

(١٦) تبالة : واد مجاور لوادى بيشة ، من أرض تهامة فى طريق اليمن وفى صحيح الأخبار للعلامة محمد بن بليهد (١ : ٦٨) : وتبالة باقية بهـذا الاسم إلى يومنا هـذا على شـاطئ بيشة الشمالى » . وقال ابن حبيب فى المحبر ٣١٧ عند الكلام على ذى الخلصة : « وهو اليوم بيت قصار فيما أخبرت » . وقال المبرد فيما نقله عنه ياقوت : « موضعه اليوم مسجد جامع لبلدة يقال لها العبلات »

المسلمون

للأستاذ محمد عبد الله السمان

إن من ألزم اللوازم للمسلمين — كأمة فى مجموعهم — صحيفة تنطق بلسانهم ، وتعبر عن مشاعرهم وعواطفهم ، وتدعو إلى مبادئهم وتوضح أهدافهم ، وترسم الطريق إلى الخلاص من آلامهم ، وتحمل بصدق وعزة رسالتهم إلى الدنيا مشرقها ومغربها ..

أجل ! إن المسلمين — كأمة فى مجموعهم — فى أمس الحاجة إلى هذه الصحيفة التى تبعث الشعوب الإسلامية المبعثرة الممزقة من مرقدها ، فتربط بينها برباط وثيق من الأخوة الصادقة ، والتى تثير خواطرها ، وتستفز همها ، حتى تزيح عن أعناقها أرباق العبودية والمسكنة ، وعن كواهلها أعباء الذلة والهوان ، والتى تعرض الإسلام من جديد ، ديناخالصا ، وإسلاما مصفى ، لادخن فيه ولا دخل

وقد أدرك حاجة المسلمين إلى صحيفة تنطق بلسانهم ، الحكيم الثائر « جمال الدين الأفغانى » وصنوه « الإمام محمد عبده » فأخرجا إلى الوجود « مجلة العروة الوثقى » .. وكانت تنشر فى باريس حيث كان المجاهدان قد اتخذاها وطنا ثانيا لهما ، أو اتخذها الاستعمار منفى لهما ؛ ولم يقدر لهذه المجلة الثائرة الملتهبة أن تعمر طويلا ، بعد أن لاقت ما لاقت من عنت الاستعمار واضطهاده .

ثم قام بعدها بهذه المهمة الدقيقة الثقيلة تلميذهما « السيد محمد رشيد رضا » . فأخرج إلى الوجود مرة ثانية مجلة « المنار » سار بها على نهج سلفيه الصالحين ، فكانت بحق شعلة متقدة ، وجذوة ملتهبة ، واستطاعت أن تلفت إليها أنظار المسلمين فى كل بقعة إسلامية . كانت سياسية متطرفة تحمل على الاستعمار الأجنبى فى أية أرض إسلامية ، وتناهض حكومات الشعوب المسلمة الإقطاعية ، منددة بها ، ومنذرة إياها بأوخم العواقب ، ولقد توقف ظهورها بعد أن لحق صاحبها ومنشئها بالرفيق الأعلى وإن كان جهادها ظل متواصلا بما تركته من أثر فعال فى نفوس الأغيار من المسلمين ، وبما تركته مجلداتها الضخمة من آثار علمية ستبقى خالدة ما خلدت السموات والأرض إن شاء الله تعالى

ثم مرت فترة طويلة حرم المسلمون خلالها لسانهم الناطق ، حتى أخرج لهم الشهيد الأعزل « حسن البنا » مجلة «الشهاب» فكانت شهابا يضئ ويحرق ، يضئ السبيل نحو الحياة الصحيحة التى تليق بالشعوب المسلمة ، ويحرق الطواغيت التى تعترض هذه السبيل ، وما أن ظهرت هذه المجلة حتى تلقتها الأيدى المسلمة فى كل مكان ، وحرص على أذخارها الشبيبة المثقفة والطليعة الناضجة ، ولقد اتجه منشئها — رحمه الله — حين أراد إصدارها إلى أن يتولى تحرير موضوعاتها البرزون المسلمون من كل قطر إسلامى ، لتكون صدى لدعوته الجامعة التى لا تعترف بالمركزية بين الشعوب الإسلامية ، ولم يعمر « الشهاب » أيضا طويلا ، فتوارى عن الأعين ، حين اختبرت دعوة الإخوان بمحنة قاسية ، خرجوا منها وهم أرسخ عقيدة وأثبت إيمانا

ثم بدأ الفراغ يتخذ أفقا أوسع من جديد ، وحرم المسلمون للمرة الرابعة صحيفتهم ، ولم يطل حرمانهم فى هذه المرة ، إذ برز فى الميدان الأستاذ « سعيد رمضان » ليملأ الفراغ بمجلته « المسلمون » ولتنهج منهج الشهاب وتنسج على منواله ، وتكون امتدادا لمنهجه ، والأستاذ سعيد رمضان شاب فى نضرة الشباب ، مثقف بالثقافتين المدنية والدينية ، فقد تخرج فى كلية الحقوق ، كما تخرج فى جامعة حسن البنا الدينية وأكرم بها من جامعة ، ويعتبر خليفة حسن البنا الأول فى الخطابة والإلمام بدقائق المسائل والمعانى الإسلامية الحية

طاف الأستاذ سعيد رمضان بجميع البلاد الإسلامية بلدا بلدا ، ومعظم الممالك الغربية ، وأعانه على هذا تغنيه عن مصر خلال محنة الإخوان ، فقد أصدرت الحكومة وقتذاك الأمر باعتقاله ، وهو يطوف بالبلاد العربية داعيا إلى الله تعالى ، واستطاع أن يصل إلى الباكستان خشية أن تستجيب الحكومات العربية إلى رجاء الحكومة المصرية فتسلمه إليها ، وفى الباكستان نال

مكانة مرموقة فى ميدان السياسة الإسلامية ، ولم يعد إلى مصر إلا بعد أن انجلت المحنة وتلاشت السحب

ومما لا ريب فيه أن الأستاذ سعيد رمضان أفاد خبرة واسعة من جولته التى استغرقت بضع سنين ، فقد اتصل بالشعوب الإسلامية كلها ، وتعرف على آلامها وآمالها ، ودرس وناقش قضاياها ، وألم إلماما دقيقا بشؤونها وأحوالها ، ووقف على الكثير من أسرارها وخفايا أمورها ، كما اتصل بزعماء المسلمين ، وسبر أغوارهم ، وخبر جهادهم ومطامعهم ، فإذا أضفت إلى خبرته هذه تمكنه من دعوة الإخوان المسلمين ، وإسهامه بنصيب ملموس وجهد مشكور فى مجلة الشهاب ، أيقنت بأنه جدير كل الجدارة بأن يخرج للمسلمين مجلته « المسلمون »

لقد مضى على « المسلمون » عام ، وها هى ذى قد بدأت منذ أيام عامها الثانى ، وأمسكنا القلم طيلة العام الماضى والأول من حياتها حتى تكمله ، فنستطيع أن نحكم لها أو عليها ، غاضين الطرف عن الأخوة التى تربطنا بصاحبها ومؤسسها ، لأن النقد البرىء الخالص يجب أن ينسى حياله كل عاطفة ، وتهمل كل محسوبية

اتضح لنا أن « للمسلمون » هدفين : الأول تقديم زاد إسلامى مصفى ، من موارد موثوق بها ، وثقافة إسلامية عذبة مطمأن إليها ، وتاريخ صادق معتمد لا زيف ولا شائبة فيه . والهدف الآخر احتضان قضايا الشعوب المسلمة ومشكلاتها ، وتحليل آلامها وأوجاعها . أما الهدف الأول فقد وفقت فيه توفيقا كاملا تغبط عليه ، وأما الهدف الآخر فلم تزل تسير نحو تحقيقه بخطى وئيدة ، وكان المنتظر أن توفق « المسلمون » التوفيق الكامل فى الهدف الآخر . وفى حقائب الأستاذ سعيد رمضان من المواد والمعلومات التى جمعها من جولته ، ماتضيق عن استيعابها الأسفار الضخام ، وقد سبق أن ناقشته هذا النقص فأبدى من الأعذار ما أعتقد اليوم زوال أسبابها ، وفى العدد الأول من السنة الثانية لمسنا عناية ملموسة بالأوطان الإسلامية وقضايا شعوبها ، نرجو أن تزداد فى المستقبل إن شاء الله تعالى

وفى المجلة موضوعات يمكن الاستغناء عنها مؤقتا ، لأن حالة المسلمين لا تستدعى هذه البحوث الجدلية التى لا صلة لها بحاجتهم ، وهم أحوج ما يكونون إلى المعانى الجديدة الحية ، التى تضيء أذهانهم ، وتثقف أفكارهم ، وتنمى ملكات التفكير فيهم ، وتصون عقائدهم مما شابها من الدخل ، وكتابها من المبرزين المعدودين فى الشرق الإسلامى والحمد لله

وبعد فيمكننا أن نقول — غير محابين — إن مجلة « المسلمون » قد ملأت الفراغ الذى تركته العروة الوثقى والمنار والشهاب ، وإن الداعية الكبير الأستاذ سعيد رمضان جدير بأن يكون ربانها ، ليقطع بها المراحل ، فتصل إلى الشعوب المسلمة على اختلافها ، لأنها غذاؤها الطيب الشهى ، ولسانها المعبر عن مشاعرها وعواطفها

محمد عبد الله السمان

٤ ـ تركيا

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

طاغية

وعدت القراء فى نهاية المقال السابق أن أحدثهم عن الحركة المجيدة التى أنقذت تركيا من الحرج الذى كانت فيه ١٩٢٠ ومن الأزمات والنكبات التى حلت بها فى ذلك التاريخ ، ولكنى أرى لزاما على أن أشير إلى العوامل الداخلية التى كانت سبب تلك الكوارث بعد أن تحدثت عن أسبابها الخارجية ، وبذلك نضع أمام القراء صورة انحلال تركيا الداخلية والخارجية ثم بعد ذلك نتحدث عن الحركة الكمالية أو حركة الإنقاذ

كانت أوربا تتحدث جميعا منذ القرن الثامن عشر عن قرب انحلال تركيا ، وأكثر من هذا قامت بعض الدول بمفاوضات بقصد تقسيم تركة تركيا . والواقع أن ضعف تركيا كان يرجع إلى عوامل متعددة منها ماهو داخلى ومنها ماهو خارجى

ولعل من أهم العوامل الداخلية كثرة الشعوب والأجناس التى كانت تركيا تحكمها ، فقد كانت تحكم إمبراطورية واسعة يسكنها البلغاريون واليونانيون والصربيون والجبليون والرومانيون والسوريون والعراقيون والمصريون والعرب والمغاربة وغيرهم ، وكانت هذه الشعوب تختلف فى الجنس واللغة والدين والعادات والتقاليد ، وتختلف أيضا عن الدولة الحاكمة فى تلك النواحى الأمر وذلك ماجعل الإمبراطورية العثمانية معرضة للانحلال بمجرد ضعفها

وكان أهم أسباب ضعف تركيا فساد الحكم التركى فى تركيا ذاتها وفى أملاكها ، فقد كان الخليفة أو السلطان رأس الدولة موطن الفساد والانحلال وسبب السوء والضعف

صحيح أن بعض المحاولات للاصلاح قد قامت فعلا ولكنها فشلت..أولا لأن الدول كانت حريصة على أن تظل تركيا ضعيفة منحلة تستطيع الدول أن تقتطع لنفسها من أملاكها ماتشاء حين تحين الظروف أوتواتى المناسبات. وثانيا لأن العقلية الرجعية كانت تسيطر على الخلفاء الأتراك وحاشيتهم ووزرائهم مما جعل هذه الحركات الإصلاحية عديمة القيمة

وتناهت الأمور إلى السلطان عبد الحميد ١٨٧٦ الذى تولى العرش على أكتاف الأحرار من أبناء حزب تركيا الفتاة الذى كان يتزعمه مدحت (باشا) وقد كانت الحياة النيابية أهم أمانى مدحت الذى كان يرى أن الحياة الدستورية الصحيحة هى السبيل الوحيد لإنقاذ تركيا

وقد كانت تركيا إذ ذاك فى موقف لاتحسد عليه ، فالشعوب البلقانية ثائرة والدول تتدخل لإنهاء الموقف فوجد السلطان عبد الحميد أن خير وسيلة للخروج من هذا المأزق هى إصدار الدستور فهو كفيل بإسكات الأحرار من الأتراك والثوار من رعاياهم ؛ بل أكثر من هذا إنه سيقضى على محاولات الدول للتدخل فى شؤون تركيا

أصدر عبد الحميد الدستور ١٨٧٧ ولكنه كان غير مؤمن به ولذلك لم يلبث طويلا أن قضى عليه فحل البرلمان ونفى مدحت « ذلك النجم الذى احتل الناس وساقهم فى طريق الغواية » وشتت أنصاره وأتباعه وأصبحت تركيا سجنا للأحرار من الرجال

وأقام عبد الحميد من نفسه طاغية جبارا يتحكم فى الرقاب وينشر الظلم والذل والاستعباد وملأ الحكومة برجال لا أخلاق لهم ولا مبدأ ولا عهد ولا دين ، غايتهم الوحيدة الإثراء وجمع المال بأى طريق « هذا هو العهد الذى كان فيه المال والثروة غرض الحياة الأعلى ، وما كان ذلك الغرض يستدعى سوى أن يتبرأ الإنسان من قومه ويتجرد من شخصيته ويضحى ابنه وأمه وأخته وأصحابه وذمته وكل العواطف الوطنية والمبادئ البشرية»

وحتى لا تتسرب بذور الحرية إلى تركيا منع عبد الحميد الأتراك من السفر إلى الخارج وشدد الرقابة على الصحف والكتب ومنع الصحف التى تصدر فى أوربا من دخول تركيا ؛ وانتشرت الجواسيس وراقبوا الناس وانتهكوا حرمة المنازل وعاش الأتراك تحت نير هذا العسف ثلاثين عاما

ومنع الأئمة والخطباء فى المساجد من ذكر الأحاديث أو الآيات التى تحط من قدر الطغاة والتى تذكر الظالمين بسوء العاقبة ، وكان حديث الجمعة الثابت « إن الله جميل يحب الجمال » أما الأحاديث التى تشير إلى العدل أو تذكر الوالى بمسؤوليته نحو رعيته فكانت ممنوعة منعا باتا

وكشأن الملوك الطغاة المفسدين كان قصر عبد الحميد يعج

بالنساء والجوارى . ويذكر المؤرخون الأجانب أن عبد الحميد حين ولى العرش وعد بأن يقضى على تقاليد الخلفاء الذميمة ومنها الإكثار من النساء فى قصورهم كما وعد بأنه سيقتصر على زوجة واحدة ولكن لم يمض عام واحد حتى كان عدد الحريم بالقصر السلطانى قد بلغ تسعمائة !

ومدحت (باشا) زعيم الأحرار نفى إلى الطائف حيث قضى بقية حياته على الفجل والماء ! إلى أن مات شهيدا فى سبيل الحرية

وكان الطاغية ضعيفا أمام الأجانب وللوقوف فى وجههم عمد إلى إذكاء روح الجامعة الإسلامية وكان يهدد الأجانب بمحاولة إثارة المسلمين ضدهم وكان التهديد سلاحه الأول والتسليم سلاحه الأخير

ثورة يوليو ١٩٠٨

حين عطل عبد الحميد الدستور ١٨٧٨ ونكل بالأحرار هاجر كثيرون منهم إلى الخارج . وفى ١٨٩١ اجتمعوا فى جنيف وأسسوا جمعية الاتحاد والترقى وظل هؤلاء الأحرار يعملون على قلب حكومة الطاغية التى أنزلت بالبلاد المصائب وذاقت على يد الأجانب الذل والهوان

وفى ديسمبر ١٩٠٧ قرر هؤلاء الأحرار بدء العمل وتقرر أن تكون مقدونيا مركز الحركة

وعمد أعضاء الجمعية إلى نشر دعوتهم فى صفوف الجيش فانضم أغلب رجاله إليهم وحدد يوم ٣ يولية ١٩٠٨ لإعلان الثورة على يد أركان الحركة أمثال نيازى (بك) وأنور (بك) وصلاح (بك) أولئك الفدائيون الذين حملوا أرواحهم فى أيديهم وخرجوا إلى البلاد لهدم كيان الظلم ومحو آثاره

ووصلت أنباء الحركة إلى السلطان فانزعج وأمر أحد رجاله شريف (باشا) بسحق الثورة ولكن الثوار قضوا على تلك المحاولة . واستنجد السلطان بقوات من الأناضول ولكنها سحقت أيضا وبدأت البلاد تسقط تباعا فى يد الثائرين . وأنذر الثوار السلطان بوجوب إعلان الدستور فورا وأسقط فى يد الثعلب الماكر عبد الحميد واضطر إلى إعلان الدستور وتأليف حكومة دستورية ، ولام مستشاريه على أخطاء الماضى ومظالمه ثم ألغى الجاسوسية وأعلن ترحيبه باستقبال زعماء الثوار فعاد أنور ونيازى على رأس قواتهما إلى سالونيك واستقبلتهم هناك جموع حاشدة متحمسة من اليونانيين والأتراك واطمأن الجميع إلى أن عهد الإرهاب قد زال !

وتدفقت جموع من المنفيين السياسيين الأتراك فى تركيا وانضم أكثرهم إلى الضباط الشبان واشتركوا فى جمعية الاتحاد والترقى ثم هرعوا إلى القسطنطينية ينشدون الظفر بنصيب من الغنيمة ويتآمرون للاستئثار بالحكم !

لكن الدول لم تدع الفرصة : فالنمسا أعلنت ضم البوسنة والهرسك إليها نهائيا، وبلغاريا أعلنت استقلالها، وقامت الثورات فى ألبانيا وفى بلاد العرب

ونشط أعوان السلطان والرجعيون فرشوا بالمال جنود القسطنطينية فقتلوا ضباطهم وأعلنوا ولاءهم لدين الإسلام ! وللسلطان ظل الله فى أرضه وخليفة الرسول !

لكن الاتحاديين تقدموا من سالونيك وقضوا على تلك الحركة الرجعية وعزلوا عبد الحميد وسجنوه فى سالونيك وتولى السلطان محمد الخامس

لكن نهضة تركيا لم تكن ترضى الدول ولذلك عمدت إلى تحقيق أطماعها فيها ، فإيطاليا استولت على طرابلس ١٩١١ ، وفى البلقان قامت الدول البلقانية ضد تركيا واستطاعت جيوشها أن تنزل بجيوش تركيا الهزائم واضطرت إلى طلب الصلح

لكن شعوب البلقان المتحالفة ضد تركيا وهى بلغاريا والصرب والجبل الأسود واليونان لم تلبث أن انقسمت على نفسها وقامت الحرب بينها ؛ فانتهز الأتراك الفرصة واسترجعوا بعض أراضيهم فى شرق ووسط تراقيا بقيادة أنور (بك) فخلص هذا النصر شرف العثمانيين

ولم يمض عام حتى اشتعلت نار الحرب العظمى ووقفت تركيا بجانب ألمانيا . وكانت نتيجة الحرب وبالا على تركيا ففقدت أملاكها واحتل الإنجليز والفرنسيون والإيطاليون عاصمتها ، وأشرفوا على مرافقها ونزل اليونانيون بأرض الأناضول يطمعون أن تكون تلك البقعة الخصيبة حول أزمير ملكا لهم

وسط تلك الأزمة الخانقة جاء مصطفى كمال لإنقاذ تركيا

أبو الفتوح عطيفة

نكسة فى دار العلوم!

للأستاذ الطاهر أحمد مكى

كان المستشرقون أول من عنى بالبحث فى اللغة العربية وأخواتها من اللغات السامية فى مطلع العصر الحديث، دراسة منتجة مثمرة، تعتمد على العقل والفكر والاستنباط، وتتخذ مادة درسها من الكتب والآثار والمقارنة، ومن ثم بدأ علماؤهم يجوبون الأقطار العربية وما اتصل بها قديما من أمم، وذهب كثيرون منهم شهداء العلم، اغتالهم الجهال، أو أضناهم العمل، أو أفناهم المرض، أو فتكت بهم الأوبئة!

وقد انتهت هذه البحوث إلى أن اللغات السامية نشأت من أصل واحد [1]، ثم تنوعت بفعل البيئة أو تطورت بعامل الزمن فنشأ ما بينها من تفاوت لا يمس أصولها، ولا يقطع ما بينها من رحم، وأن على الباحث فى واحدة منها، أن يستهدى أخواتها الأخريات

فلما تقدمت الحياة العقلية فى مصر، رأى الذين يهمهم أمر الثقافة العربية، أن مجال التقدم والابتكار فيها، والكشف عن كنوزها، وتبيان غامضها، مازال ضيقا، وأن الشرق فى تفهمه لآثاره عالة على الغرب، يتابع خطواته، ويتلمس طرائفه، ويتلقى ما انتهى إليه من نتائج قضايا مسلمة!

وكان واضحا أن نقطة الضعف فى التفكير العربى المعاصر، أن الذين يتصدون للبحث فى شتى أنواع المعارف القديمة، يجهلون اللغة العربية ولا يلمون بدقائقها، مما ينتج عنه سوء فهم لتلك الثقافات، أو خطأ فى الإلمام بقضاياها، وكان مخجلا أن يدرس التاريخ الإسلامى أو يؤلف فيه من لا يعرف أصول اللغة وتاريخها ومادته جلها نصوص لغوية وأدبية، أو يتصدى للفلسفة الإسلامية شارحا أو مؤرخا، وهو يجهل التطور الذى أصاب اللغة، فجعل للفظ معناه حين يكون فى القاموس مغايرا لمعناه إذا ورد فى أساليب الفلاسفة، فكان الخلط والاضطراب والتعثر، ملحوظا لكل من يطالع النتاج المعاصر فى الفلسفة أو التاريخ أو الشريعة، وغيرها من التراث العربى القديم، إذا استثنينا القليل!

ولم يكن هذا الخلط وقفا على الثقافة التى تبعد عن اللغة قليلا أو كثيرا، بل امتد أثره حتى إلى اللغة نفسها، ذلك أن تقدم الإنسانية وسع من إمكانيات الدارسين والمؤلفين، وانتشار الطباعة والتخصص جعل مهمتهم سهلة لينة، وتقدم منهاج البحث العلمى والاستعانة بالمقارنة جعل من الممكن ملء الفجوات التى تبدو بين معالم الثقافة القديمة، والاهتداء إلى الأصول المجهولة، والتى كانت تعترض القدماء، فيعللونها بالفرض، أو يصلونها بالخيال، أو ينحرفون بها إلى الخرافة!

ومسايرة لهذا المنطق، بدا أن دارس العربية لكى يستفيد منها ويتبين حقائقها، وينير قضاياها، عليه أن يكون عارفا ما استطاع بأخواتها من الفصائل السامية، كالعبرية والسريانية واليمنية القديمة والحبشية، وما جاورها من لغات أخرى، كالفارسية والأوربية والتركية، فى حدود القدرة والتخصص.

وروعى هذا النهج عندما أنشئت كلية الآداب بالجامعة المصرية القديمة، ودعا إليه الدكتور طه حسين دار العلوم العليا فى حرارة وقوة عام ١٩٣٥، عارضا عليها أن تنضم إلى الجامعة، على أن تحتفظ باسمها التاريخى المجيد، لتكون معهدا للغة العربية واللغات الشرقية، ولم يقف بدعوته عند هذا الحد، بل اقترح أن تبدأ العناية بهذه اللغات من التعليم الثانوى، لمن يريدون أن يتخصصوا فيها، لكى تكون دراستهم منتجة مثمرة.

ولم يتح لدعوة الدكتور طه حسين أن تجد سميعا إذ ذاك، فطواها على مضض وإن لم ييأس منها، ومضى يهيئ لها الأذهان حتى اختمرت، وأذن لها أن تؤتى أكلها عام ١٩٤٦، حين ضمت دار العلوم إلى جامعة القاهرة، لتنتفع بالنهج الجامعى وحريته، ولتأخذ فى ركب الحضارة وجهة جديدة، توائم التطور الثقافى الذى انتهى إليه العالم ومصر عقب الحرب العالمية الأخيرة.

أجل، كانت دار العلوم المدرسة قد أدت رسالتها فى تنقية الفصحى من أوشاب العامية، وتحرير الألسنة من اللكنة الأعجمية، وفى إعداد المدرس الصالح لأدائها، والكتاب الطيب الملائم للقراءة، وفى تطوير اللغة لتصبح مرآة ناصعة، تنعكس

(١) توصل إلى هذا الرأى العلامة ابن حزم الأندلسى، فقال فى كتابه «الإحكام فى أصول الأحكام»: «إن الذى وقفنا عليه وعلمناه يقينا أن السريانية والعبرية والعربية التى هى لغة مضر وربيعة لا لغة حمير، لغة واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها» ثم تابع كلامه فى تعليل رائع، مما يعد معه بحق واضع علم «فقه اللغة» الحديث، ثم تلاه بعد ذلك، علماء اليهود الذين ورثوا الحضارة العربية فى الأندلس، ولكن الظلام الذى عم إسبانيا عقب إجلاء العرب عنها أوقف تقدم هذه البحوث، حتى بعثت فى منتصف القرن التاسع عشر على يد المستشرقين.

عليها مظاهر الرق المتعددة ، وتتسع ألفاظها للتعبير عن أسمى المشاعر والأفكار ... وبقى الشق الآخر من الرسالة ، وهو البحث والتقصى والعكوف على القديم لدرسه ونقده وتمييزه ، وتتبع مساربه ومجاريه ، بعد أن هيئت الوسائل وأكملت الأداة !

ومن ثم شفع ضمها إلى الجامعة إفساح المجال فيها للدراسات السامية والشرقية على الخيار بين واحدة منهما ، وأحس الطلاب أن شيئا جديدا من الثقافة بدأ يأخذ طريقه إلى أذهانهم ، ليساعدهم فى تفهم كثير من المشكلات ، كانت تبدو أمامهم معقدة غير واضحة ، وكانت هذه العلوم أداة ليصبح عندنا نحو مقارن يرفع الستر عن قصة النحو العربى ، متى نشأت ، وكيف ، وعلى يد من؟ ... ولأى المؤثرات تعرضت . وقل الأمر نفسه عن البلاغة وفقه اللغة ، وعن الأدب أيضا .

ولكن البلاغة والنحو والصرف وفقه اللغة والأدب ، ليست هى كل التراث الإسلامى ، فهناك الفلسفة ، وهناك التاريخ ، وهناك الشريعة ، وما يتصل بهذه العلوم أو يتفرع عنها ، وهى علوم محور التبريز فيها أن يكون الدارس لها عارفا باللغة العربية أولا . ولسد هذا الفراغ وتهيئة المجال أمام الراغبين فى هذا النوع من الثقافة الإسلامية ، رؤى أن تتولاه دار العلوم تبعا ، لتحرير بحثه ومادته من سلطان المستشرقين بعد أن ظل وقفا عليهم ، مع الانتفاع بنهجهم ومذهبهم فى التقعيد والاستنتاج ، على أن يتخصص الطلاب فى واحدة منهما ؛ لتكون إفادتهم كاملة ، فكانت شعب التاريخ والفلسفة والشريعة ، بجوار الثقافة العربية الأخرى . ولتثبيت هذا المعنى فى أذهان الطلاب وتقويته ، وليأخذ صبغته القانونية ، رؤى أن تكون براءتهم إذا تخرجوا « الليسانس فى اللغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية » .

* * *

ومضى الركب فى طريقه ...

ثم أذيع أن عميد كلية دار العلوم الأستاذ إبراهيم اللبان ، دعا مجلس جامعة القاهرة ، إلى تدعيم « معهد اللغات الشرقية » التابع لكلية الآداب ، بجعله مستقلا على أن يكون للدراسات الشرقية كلها ، أدبا ولغة ، تاريخا وحضارة ، واستبشر الطلاب والدارسون من وراء دعوته خيرا حين تلقفوها من أفواه الصحف ولكن ... سرعان ما أعجلتهم الحقيقة ، فأخبتت فيهم الأمل ، وأغاضت البشرى ، ذلك أن العميد سبب دعوته ، بأن مفتشى اللغة العربية فى وزارة المعارف ، يشكون ضعف خريجى دار العلوم الكلية فى النحو والصرف ، وعزا ذلك إلى مزاحمة اللغات السامية والشرقية فدعا إلى إلغائهما ، بل وارتأى الحاجة إلى دراسة التاريخ والفلسفة أيضا ففكر فى استبعادها !

لن أرفع عن زملائى وأندادى تهمة الضعف ، فنحن مازلنا طلابا رغم التخرج . ولن نزعم لأنفسنا العلم أبدا ، فنحن فى أول الطريق ومن سار على الدرب وصل . ولن نقول للعميد إن التدريس لتلاميذ الابتدائى والثانوى لايحتاج إلى مزيد علم ، ولا يصلح مقياسا لقوة أو ضعف ، وإن للمسائل موضع الخلاف لاتعدو « همزة الوصل والقطع » والإعجام ، واختلاف النظرة إلى الكلمة الواحدة ، حين تكون العامية خفيفة سهلة ، ومثيلتها العربية ثقيلة موحشة ... لن نقول له إن المدارس اليوم تموج بأناس حظهم من الثقافة متواضع ، وجهدهم فى التحصيل ضعيف ، ونظرتهم إلى التعليم مادية ، وإيمانهم بالرسالة معدوم ، وإن خريجى دار العلوم وسط هذه الأخلاط ، قلة لايسمع لها صوت ، ومواهب لايترك لها مجال !

لن نقول له شيئا من ذلك كله ، لأن رسالة دار العلوم الجامعية يأتى فيها التدريس تبعا لا أصالة كما يقول الأصوليون ، وإنما رسالتها أن تنير للطالب الطريق ... طريق الكشف عن مجاهل الحضارة والثقافة ، ثم تقول له سر على بركة الله ، ليكتشف ويتأمل ويقنن ، مشكورا أخطأ أم أصاب ، ونحن جد سعداء ، لأن دار العلوم الجامعية أمسكتنا أكثر من مشعل . وأنارت أمام عقولنا أكثر من طريق !

لقد جارينا العميد فيما ارتآه من أننا ضعفاء فى النحو ، لاتقريراً للواقع بل إسهاما فى حل المشكلة ، فليسمح لنا أن نخالفه أشد المخالفة ، فى أن مبعث ذلك هو اللغات السامية أو الشرقية أو التاريخ أو الشريعة ، أو تزاحم مختلف المواد ، ذلك أن واحدا من هذه العلوم ، ليس جديدا فى تقريره ، وإن تطور فى مناهجه ، وأن محاضرات اللغة فى نحوها وأدبها وفقهها لم تنزل عن المستوى الذى أنشئت عليه منذ أن كانت دار العلوم ، بل إن منها ما استحدث كالأدب المقارن ، أو خص بعناية فى الوقت والدرس والمنهج كفقه اللغة ، وإن الذين يطاولنا بهم فى النحو من أساتذتنا فى الدار وخارجها ، كان نصيبهم من الدراسات السامية مضاعفا ، فدرسوا العبرية والسريانية ، على حين يدرس طلاب

اليوم الأولى وحدها ، ولم يغنهم ذلك ، إن لم يدفعهم ، إلى أن يبرزوا فى الميدان ، وأن يسدوا إلى الفصحى خدمات جلى !

لقد توسعت دار العلوم فى دراسة هذه المواد ، ولكن هذا التوسع لم يكن على حساب اللغة أو قواعدها ، وإنما كان على حساب علوم دست على الدوار لدوافع استعمارية ، كان على حساب الطبيعة والكيمياء والهيئة والصحة والرسم والحساب والجبر والهندسة والجغرافيا ، والأشغال اليدوية (! !) وهى علوم كان مؤسفا ومخجلا أن تدرس فى معهد عال يعد المتخصصين فى اللغة العربية ، وأن يشغل بها الطلاب ، على حين أن مكانها فى المرحلتين الابتدائية والثانوية ! . ويستطيع العميد أن يراجع برامج دار العلوم منذ عام ١٨٧٣ حتى اليوم ، فلن يجدحيفا من اللغة أو علما عدا عليها

حتى ولو جاريناه فى دعوته ونظرته لدار العلوم ، وتفهمه لرسالتها على أنها تزويد المدارس بعدد صالح من المعلمين « فإن معلم اللغة العربية محتاج أشد الحاجة إلى أن يكون قادرا على أن يفهم الصلة بين مادة اللغة العربية وأصولها السامية الأولى ، فيجب أن يدرس اللغات السامية درسا حسنا ، وأن يتقن بعض اللغات الأجنبية الحديثة ، وبعض اللغات الشرقية الإسلامية الحية ، فى شىء من التنويع والتخيير بين هذه المواد »[٢] ، « فدراسة اللغات السامية دراسة قران ، أصبحت الآن ضرورية لكل من يريد أن يلم بتاريخ اللغة العربية إلماما يشمل نشأتها وعوامل انتشارها ، واللغات التى أثرت فيها وتأثرت بها ، ولكل من يريد أن يدرس فقه اللغة عامة ، وفقه اللغة العربية بوجه خاص ، دراسة علمية دقيقة . إن طالب دار العلوم فى حاجة إلى التزود بمعلومات كافية عن بعض اللغات السامية التى لها علاقة وثيقة باللغة العربية ، أسوة بما هو متبع فى أوربا ، حيث تدرس اللغتان الإغريقية واللاتينية لاتصال اللغات الأوربية الحديثة بهما »[٣]

* * *

(٢) دكتور طه حسين . مستقبل الثقافة فى مصر ص ٣٨٨ طبعة سنة ١٩٣٨

(٣) من تقرير للأستاذ حامد عبد القادر أستاذ اللغات السامية والشرقية وفقه اللغة سابقا بدار العلوم ، ومدير اللغة العربية بوزارة المعارف الآن ، والدكتور إبراهيم أنيس أستاذ اللغات السامية بكلية دار العلوم الآن وقد كتباه فى ٤ / ٦ / ١٩٤٦

لقد استقبلت دار العلوم حياتها الجامعية من سبع سنوات مزهوة بماضيها ، مؤملة فى غدها ، مقدرة لرسالتها ، وكان اندماجها فى الحياة الجامعية موضع فخار وإجلال ، وتطورها السريع موضع تقدير وإكبار ، رعت الأفذاذ من أبنائها فاستردتهم معيدين ، وأرسلت بهم وراء البحار دارسين وباحثين ، وهيأت لهم من حياتهم العلمية رشدا ...

ثم ، ماذا أقول ! ... إن الحسرات لترعى قلبى ، وإن الحزن ليغشى جوانحى ، ويكاد الألم يقتلع من عقلى ذكريات علمية عزيزة عليه ، لأن الكلية التى شهدتها زاهرة ناضرة ، واختزنت لها فى حنايا نفسى أروع الذكريات وأنبلها ، نكصت على عقبيها ، فتراجعت القهقرى ، لتنطوى على نفسها بعيدا عن الحياة والناس ، وأخشى أن يفوتها الركب ...

لم يعد للنابهين من أبنائها فيها نصيب ، فتوقفت عن تعيين المعيدين ، وكل جريرتهم أنهم صغار السن شباب ، وتوقفت عن إرسال البعثات ، لأن سياسة « ليس فى الإمكان أحسن مما كان » عادت تطل برأسها من جديد !

ثم أسلمت مكتبتها ، مكتبة أعرق كلية تدرس العربية فى الشرق — وللجامعة مكتبة — وبها كثير من النفائس والذخائر ، إلى أمين كل مؤهلاته أنه يحمل الشهادة الابتدائية ، وفى بقية الكليات الأخرى ، تنال المكتبة أعظم رعاية وأبلغ اهتمام ، ويشترط فى أمينها من المؤهلات مايشترط فى هيئة التدريس

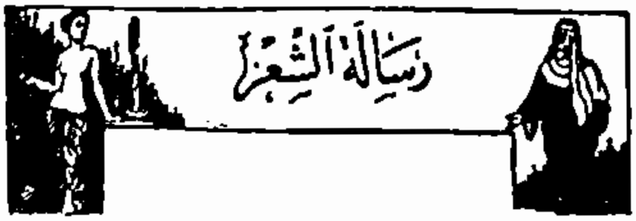
* * *

وبعد ... إنى أناشد الذين فى دار العلوم — وأنا أعرف من هم علما وفضلا — ضمائرهم وعقولهم ، أناشد فيهم تاريخ دار العلوم وحاضرها وغدها ... إذا لم تستطيعوا السير إلى الأمام فلا ترتدوا

لا تنقصوا مواد الدراسة ، بل زيدوها إذا أحببتم ، أنشئوا معهد الدراسات الشرقية ، لكن لا تمسوا هذه الدراسة فى دار العلوم ، خرجوا شبانا يدرسون ويفهمون ، أصحاب ثقافة متنوعة تسمو بهم عن المحلية ، وتحلق بهم فى أجواء عالية فسيحة ، أيان توجهوهم يأتوا بخير كثير ...

إنى أناشدكم بكل مقدساتها ، ألا تعودوا بها « مصنعا » للمدرسين من جديد !

الطاهر أحمد مكى



الرؤيا الصادقة

بمناسبة الذكرى النبوية

للأستاذ محمد بهجة الأثرى

من لحر بات يشكو الوصبا زافراً أنفاسه كاللهب ؟
هاجت «الذكرى» شجاه فصبا وانثنى يندب حظ العرب
رب ليل بت موصول الأنين يتنزى شجنى مضطرما
باكيا مجد الشموس الأولين وزماناً بالمعالى معلما
أمة عزت بدنيا وبدين كيف ذلت واستحالت أمما ؟!
شامها ما سام أقوام «سبا» فى الليالى زمن ذو ريب
مثلما تعصف ريح بدبى عصف الظلم بها فى الحقب

صحت لما ضقت ذرعا بالشجا أرقب الليل برقراق الدموع :
أيها الليل ! أما فيك رجا ؟ أو ما للصبح من بعد طلوع ؟
ثم أغفيت على هم رجا بفؤادى وأنا معى جزوع
فمرانى مثل أحلام الصبا طائف فى النوم قد طوف بى
هز أشواق إليه طربا ليته فى الصحو يحيى طربى

وتنورت مع الفجر سنا طبق الشرق وجاز الغربا
أطلعته البيد منها موهنا مشرقا بين «حراء» و«قبا»
ساطعاً يغمر آفاق الدنا باهر الحسن يروع الغيهبا
فاض يهدى فى طريق موكبا يتلألأ فى الفلا كالشهب
سالت البيد به مصطخبا جائشاً فوق وهاد وربى

تارة يعلو أهاضيب الصخور لا يبالى ما يلاقى من صعاب
ويخوض الرمل حيناً كالبحور مثلما تمخر فلك فى عباب
كلما جد وأضنته الوعور يعتلى عزماً شديداً واصطخاب
وإذا رامت رجال مطلبا ذللت كل عصى منصب
وإذا استحلى هواها مأربا وجدت لذتها فى النصب

لجب راع فؤاد الملكوت وثنى الشمس إليه والقمر
لم تشاهد مثله فى الملكوت هذه الدنيا، ولم تسمع خبر
كربت من ذعرها منه تموت قبل أن يأخذه منها النظر
راعها حتى إذا ما اقتربا فرعى أحوالها فى حدب
وجدت أنبل قوم رغبا بنشد الخير كريم الرغب

سار يطوى الأرض خفاق اللواء كلما مر بقوم عظما
وهو فى كل صباح ومساء يفتح المدن ويهدى الأمما
كاد لما ضاقت الأرض الفضاء يبتنى بالفتح آفاق السما
وإذا حل بواد أخصبا منبتاً أزكى نبات طيب
أمرعت منه البرايا أدبا وحياة حرة المضطرب

وتبينت فتى صلت الجبين لامع الغرة يجلى من بعيد
حف بالبيض بأيدى الدارعين فوق جرد تحتها الأرض تميد
قلت : من ذا ؟ قيل لى : ليث العرين
قلت : من تعنون ؟ قالوا : ابن الوليد
قلت : والأبطال راعت بالظبا ؟ قيل لى : صحب النبى العربى
قلت : ما يبغون ؟ قالوا : أربا جل عن قصد الهوى والغلب

صاح كالضيغم : ياخيل اهذبى ورمى الشرق بلحظ أشوس
قال : هيا، أبلغينى أربى أربى تطهير «بيت المقدس»
فاستطارت فى الفضاء الأرحب تنهب الأرض لمز أقعس
واستطارت فى فؤادى لهبا لهفة للمشهد المستغرب
ثم شيعت بطرفى الموكبا وبنفسى منه كل العجب

قلت للنفس، وفى النفس جراح كلما ذكرتها نضت دما
وخيول الله تعدو فى البطاح ، بين عينى ، تمض اللجما
فوقها كالقدر العاتى المتاح كل جبار علا مستلثما :
أنظرى يا نفس هذا العجبا أترين القوم أصحاب النبى ؟
كيف لابست زماناً غربا ؟ كيف عادت سالفات الحقب ؟

وعلا التأذين فى الفجر الرهيب موقظاً تهداره كل نؤوم
فتيقظت وفى قلبى وجيب كحبيس الطير فى كف ظلوم
مطبقاً عينى على الحلم العجيب بالتذاذ أتمنى لو يدوم
خلتنى يقظان حتى أكذبا حاضر أبصرته عن كثب
صحت لما بان لى منقلبا : إن هذا أسوأ المنقلب !

حاضر أقبح به من حاضر وثبت فيه على الأسد القرود
قد تجلى عن خؤون غادر دغل النيات جياش الحقود

أخضع العرب لحكم جائر … قد قضى أن يستنيموا لليهود
لعب اليوم بهم ما طمعا … ولكم جد يرى فى اللعب
شقهم لا دولا بل عصبا … ثم أشقاهم بحرب المصب !

فيم هاجت بينكم « حرب البسوس »
يا معيدى نكبة « الأندلس » ؟

أعلى الميراث أحقاد النفوس ؟ … أم على تسليمه المختلس ؟
أم بقايا من رمال وضروس … هيجت من شهوات الأنفس ؟
إخجلوا يا قوم صرتم عجبا … فى الدنا ، بل لعنة فى الكتب
ما أضعتم وطناً ، بل حسبا … أين من يحمى لرد الحسب ؟

أمة قد أنسيت أوطارها … فأدارت فى الناحات الكؤوس
وأثارت للهوى أوتارها … والأعادى فى مغانيها تجوس !
فتى ترحض عنها عارها ؟ … ومتى تعبس فى يوم عبوس ؟
إنما يلعب حر غلبا … لا حريب مبتلى بالنوب
أو عزيز سيم خسفا فأبى … لا الذى أضحى وطئ المركب

لا تلمها ، إنما خذلانها … جره التضليل من قوادها
جار عن نهج الهدى ركبانها … إذ جروا فوق خطا روادها
كل من تبصره يختانها … لا يبين الصدق فى إرشادها
فى سبيل المال .. من قد كتبا / جاذب الساسة حبل الكذب
وانثنى الشاعر عما وجبا … ومضى ينعت بنت العنب

يا شباب العرب فى شتى البلاد … لست أختص شآماً أو عراق
إن لى فيكم وإن عم الفساد … أملا أن تحطموا عنها الوثاق
إن جرح العرب محتاج ضماد … ضمدوه بدم منكم راق
وأعيدوا الوطن المغتصبا … بالمواضى من يد المغتصب
تبعات الملك شتى أربا … سوف تلقى للشباب النجب

أذكروا — بالله — مجد الفاتحين … واصنعوه مثلما قد صنعا
لا تغروا ، مالكم غير « الأمين » … أسوة فيما نهى أو شرعا
كل جد فى جديد الحاضرين … لم يغب عن شرعه فيما وعى
اقرأوا دستوره المنتخبا … تجدوه زاخراً بالنخب
هو روح وحياة وهبا … صادق الإيمان أسمى الرتب

نسخت آيته فى العالمين … آية الشمس بآفاق السماء
وتحدى ما بنى فى الغابرين … عادى الملك وآفات الفناء
وتعالى فوق مجد الهالكين … مجده الخالد ما دام البقاء
لو وراء الخلد ملك أو نبا … لاحتوى محروه من كثب
كذب المطرى سواه كذبا … غير مدح التبر مدح الترب

أيها المبعوث بالأمر العظيم … جل بارى النور ! ماذا أطلعا ؟
جئت والدنيا يغشيها السديم … فأنرت الشرق والغرب معا
طلعت شمسك .. لكن فى الحلوم … وتسامت عن كسوف مطلعا
كم أزاحت عن عقول سحبا … جلتها من ظلام الريب
وجلتها فى الأعالى شهبا … هاتكات للدجى والحجب

أنت من علم أمثال « عمر » … يتحدى بالفتوح الدولتين
أنت من أطلع أبطال السير … مثلما تبدى السماء النيرين
أنت من أحيا الأعاريب الغرر … وبهم أحييت أهل المشرقين
ثم مالوا عنك ميلا ، فنبا … عزمهم ، واستهدفوا للنوب
وأقلوا فى الحياة الكربا … وهوان العيش فى المرعى الوبى

يا رسول الله خير المرسلين … يا منيل العرب غايات الفخار
قم تأمل حالهم فى العالمين … كيف بعد العز ذلوا فى الإسار
هدموا ماشدت من دنيا ودين … فقضى الله عليهم بالبوار
أركضوا الأهواء فيهم خببا … ورموا وحدتهم بالشجب
كل من تلقاه ينحو مذهبا … ويحهم ! لم يتركوا من مذهب

صدعت بيضتهم أشقى الأمم … وهو لاهون .. كل بهواه
جدعت منهم خياشيم الشمم … وبغى بعض على بعض وتاه
هل سبيل النجح إيقاظ النقم … عمه الجاهل شر من عماه !
ليتهم قد أججوها الهيدبى … للعدا لا لابن أم وأب
ويحهم ! قد بلغ السيل الزبى … غير ذى رفق ، وهم فى حرب

يا نياماً ضيعوا ما ورثوا … ضيعوا عهد العلى والشرف !
أفما آن لكم أن تبعثوا … سيرة الهادى ومجد السلف
إن « أهل الكهف » قبل انبعثوا … من رقاد طال تحت السدف
وأعادوا فى الحياة الدأبا … ومنال المجد رهن الدأب
فاستفيقوا وأثيروا العربا … طال يا قوم رقاد العرب !

بغداد … **محمد بهجة الأثرى**

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

صدرت « الرواية » .. بعد أن احتجبت عن قرائها طويلا ، صدرت قوية كالعهد بها من قبل ، فتحتل مكانها فى ميدان القصة الرفيعة والأدب الممتاز

عادت الرواية بعد أن اكتسح ميدان الأدب ، ذلك اللون الفاتر الضعيف الركيك ، الذى يهدهد الغرائز ، ويحرك الألوان القاتمة فى النفوس ، عادت لترد للأدب الرفيع مكانتـه ، وللفن الخالص كرامته

أسبوع النبي

كان ميلاد النبي .. هذا العام قويا حيا .. غاية القوة والحياة فقد جاء فى الوقت الذى تستقبل فيه مصر حياة كريمة نقية تتمثل فيها صورة البطولة والقوة والحرية

وقد أقيمت فى كل مكان أحفال الذكرى ، وكان للأدب فيها مكانه المرموق .. كان الشعر والنثر هـذا الأسبوع ملونا منوعا ، يصور حياة الرسول الكريم ، وجهاده وكفاحه ، تمثل ذلك فى القصائد المختلفة التى نشرتها الصحف وأذاعتها الإذاعة ، وألقيت فى الهيئات والجميات التى احتفلت بالذكرى .. وفى المقالات ، وفى القصص ، وفى المسرحيات

كانت الأقلام التى تعمل فى ميدان الأدب والفن كلها تعمل لذكرى الرسول ... وتصور تلك الشخصية الضخمة التى أضاءت الكون وأفاضت عليه نور الإسلام وهدته إلى التوحيد الخالص

وإن كان لنـا أن نقول شيئا فى هذا المجال فهو أننا لا زلنا نطمع أن يتخلص شعراؤنا من القيود التقليدية التى خيمت على الشعر زمنا طويلا خلال العهد الماضى . وأن هذه النفسيات الشاعرة تستطيع أن تتجدد على أفق واسع

ندوة الشبان المسلمين

وكانت ندوة الشبان المسلمين من أضخم هذه المهرجانات فقد اشترك فيها عدد كبير من شعراء الشباب : الغزالى ، ومخيمر ، وشملان ، والوضى ، والنشاوى ، والنهاى ، والماحى ، وحمام ، والعاديين ، وجبر ، وقاسم

وألقيت قصائد كان أغلبها فى مولد الرسول

ولا شـك أن اشتراك هـذا العدد الضخم من الشعراء الناضجين الذين عرفوا بالماضى الحافل فى ميدانهم كان من أقوى الأعمـال الأدبية التى كللت بالنجاح وكانت تأييدا لدعوة الرسالة التى طالبت بذلك من قبل

وقـد علق على الندوة وعقب على قصائد الشعراء الدكتور إبراهيم سـلامة أستاذ النقد بكليـة دار العلوم . استمر الدكتور سـلامة يتحدث حوالى الساعتين ونصف السـاعـة ، وكانت له طرائف حلوة فى التعليق على الشعراء منها قوله :

شعراء المناسبات كمالى القطارات لا يعملون إلا عندما يصل القطار

مصطفى حمام هذا الشاعر الذى لم أفهمه ، الشاعر الذى يتألم ويرسل زفراته وأناته من شفاه تبتسم . إنه كالرجل الأجرب الذى يجد اللذة فى أن يحك جلده

ولم يدع شاعرا من هؤلاء الشعراء دون أن يبـدي رأيه فى شعره بصراحة تامة . ومن القصائد الرائعة التى لقيت الاستحسان قصائد مخيمر والنشاوى والنهاى

فلسفة التكريم

فى حفـل التكريم الذى أقيم للأستـاذ الفضيل الورتلانى المجاهد الجزائرى هذا الأسبوع ، فى فندق سميراميس ، تحـدث المحتفى به بعد انتهاء كلمات التكريم التى وجهت إليه فقال :

« إن حفلات التكريم فى ذاتها ليست إلا مظهرا من مظاهر التعبير عن البطولة فى ذاتها وتصوير معالمها . وإن الأمر فى هذا أشبـه بالمعركة التى يقوم بها الجيش حين يقوم بأعمـال التمرين والتجارب . ففى هذه الحالة يتخير المهاجمون هدفا محددا ، ولو كان ورقة ، تصبح فى نظرهم ولها صفة الهدف الحقيق ثم يأخذون فى

مهاجتها . وكذلك فعلتم أنتم حين جعلتموني هذا الهدف الوهمي لتصوروا ملامح البطولة كما تحبون أن تتمثل في الأفراد »

الأدب لا يطلب النجدة

كنا قد نشرنا بعض ما فاضت به الصحف في العراق ولبنان من حق الأديب

وقد قرأنا في جريدة النبأ رأيا جزئيا في هذا المعنى في كلمة عنوانها « الأدب لا يطلب النجدة » جاء فيها « أن الأدب أجل من أن يطلب النجدة ؛ فهو يفرض نفسه فرضا ويخلق له متتبعين إذا قدم لهم وجبات ممتعة فلا يطعمون العدس في كل وجبة

.. ليس للأديب أن يجأر بالشكوى وهو قابع في صومعته فارضا نفسه غير مسؤول إلا إذا أنجد ، فأين البضاعة المروضة ليصح الطلب ؟

إن الأدباء عندنا هم من الشعور بضعف واقعهم بحيث يستترون ثم يروحون يمنون على الجمهور ذوقه وتقصيره

لم ينكب الأدب إلا الأدب نفسه ، فمع قلة البضاعة أضحى البعض قراصنة يستولون عنوة على مال الناس بوسائل شتى ضاربين خير الأمثلة للنشالين

حوشوا من هذا الحقل هذه الطفيليات فإن الأدب يحتضر . لقد أفزعنا أن نطالع بعض آثار أدبائنا فإذا هم وعطلة الإذاعة سواء بسواء »

والقضية التي يعرضها الكاتب هي قضية الأدب في كل مكان . على الأديب أن ينطلق في الحياة فلا يقبع في برجه العاجي ليكتب للناس من خياله . إن الأدب الواقعي هو الذي ينبع من آلام الناس وآمالهم ورغباتهم وأهدافهم . إن بعض الأدباء الذين أحسوا بأن أسماءهم قد لمعت ، نسوا ماضيهم ، وتبلد نشاطهم ، وفترت حيويتهم ومن ثم جاءت آثارهم الجديدة غاية في الضعف

ذكرى شكيب أرسلان ومحمود سامي البارودي

تقع في هذا الأسبوع ذكرى رجلين من كبار الرجال في الشرق ... هما شكيب أرسلان وسامي البارودي . لقد ترك كل منهما من ورائه ذكرا مرفوعا وأثرا قويا في عالمي الأدب والسياسة

أما شكيب أرسلان فقد عاش حياته مهاجرا . كان مظهرا من مظاهر الشرق الحية في الغرب ، وكان منارا لكل شرقي في قلب أوربا . وما من مجاهد أو زعيم أو زائر قصد إلى هناك إلا وأحس بمدى الأثر الضخم الذي يفيضه على الشرقيين هناك

وكانت الصحف لا تني تنشر له الفصول الضافية في الأدب والاجتماع والسياسة ، وهو الذي علق على كتاب حاضر العالم الإسلامي فأضاف إلى ذلك السفر الصغير فصولا عن حياة المسلمين في مصر والمغرب والعراق وسوريا والهند وإندونيسيا .. غاية في القوة والوضوح ، تعد بحق مرجعا من أوفى المراجع لمن يريد أن يكتب عن قضايا البلاد العربية والإسلامية

ولم يقف جهد شكيب أرسلان عند التاريخ والسياسة ؛ بل كتب عن العرب في الأندلس كتابا مستفيض الصفحات في تصوير الحضارة الإسلامية في ذلك الفردوس المفقود

وكتب شكيب أرسلان كتابين في الأدب والتراجم غاية في القوة هما كتاباه عن شوقي وعن رشيد رضا

ويتميز إنتاج شكيب أرسلان بالإسهاب والوضوح والجزالة والتدفق وبيانه غاية في القوة ، لأنه يصدر عن قلب يخفق بحب الشرق والإسلام والعروبة ، قلب المجاهد الذي عاش مهاجرا ، تتمثل له في كل لحظة تلك المعالم الحية ، التي يعيش فيها أهله وإخوانه وبنو وطنه ، وتلك الآلام التي يقاسونها في ذلك الكفاح المرير مع المستعمر والغاصب والمستبد

* * *

أما محمود سامي البارودي ، فهو ذلك الشاعر الذي نقل الشعر العربي من مدرسة إلى مدرسة . ونقل الوطنية المصرية من وضع إلى وضع . فهو على رأس الفريق الذي حرر الشعر العربي من قيوده التقليدية وفتح له باب التجديد الذي جرى فيه من بعد

وكان من بين الفريق الذي وقف في وجه الظلم والطغيان ، ظلم الحاكم المستبد وطغيان الاستعمار الغاشم ، فكان أحد أولئك المجاهدين الذين حملوا لواء الثورة العرابية

وقضى محمود سبعة عشر عاما من عمره في جزيرة سيلان منفيا ومبعدا عن وطنه الذي أحبه ، قضاها أيضا في جهاد ، فهو لم يلبث أن دعا أهل سيلان إلى الإسلام وعمل حثيثا على نشر دعوته فيهم

ثم عاد إلى مصر فلم يلبث أن فقد بصره وأمضى الأيام الباقية من عمره منقبض النفس مطويا حزينا

وهو أول من أنشأ فن « رثاء الزوجة » فى الأدب العربى الحديث ، فلم يكن هذا اللون معروفا أو مقبولا من قبل حتى جاء محمود سامى البارودى فكتب قصيدته فى رثاء زوجته ، ثم جاء بعد ذلك عزيز أباظة وعبد الرحمن صدقى فمضيا فى هذا الطريق

ويلتقى شكيب أرسلان وسامى البارودى فى ذلك المنفى الذى تحمل النفس المهاجرة لأمد طويل ، فقد قضى كل منهما صدر حياته فى المنفى ، فلما عادا لم يلبثا طويلا

وإذا كان تاريخ أبطال الثورة العرابية لم يكتب حتى الآن لأن الظلم والغبن كان يحيط بتاريخ الأحرار من الرجال ، فقد حق اليوم أن يكتب عن هؤلاء الرجال الذين كتبوا فى مصر الحديثة صفحة الحرية ، فما بالك وقد كتب محمود سامى البارودى صفحتين فى الأدب والسياسة جديرتين بالخلود

أنور الجندى



مسرحية

غروب الأندلس

تأليف الشاعر الكبير عزيز أباظة

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

لايستطيع أديب أن يعبر عن آلام الشعب التى تهز كيانه، وأن يصور آماله التى تهفو إليها نفوس أفراده إلا إذا كان يحس إحساسهم ويشعر شعورهم فيضطرب بين ضلوعه ما يختلج فى حنايا صدورهم، ويعتمل فى أطواء قلبه ما يجول فى خبايا أفئدتهم ، على أن يمده إلهام لاينضب معينه، وفن مبدع تتحلب أفاويقه ، ولسان مطواع يأخذ الألباب بسحر بيانه. فإذا رزق غزارة العقل وحنكة الدهر وتجارب الأيام جلى ما يريد أدبا رائعا تستعذبه الفطر السليمة كما تستعذب الهيم سلسبيل الماء ، وتطرب له الجماعة كما يطرب السامرون لرنين الوتر فى هدأة الليل وخفقة السحر، وتصغى إليه كل أذن واعية كما يصغى الشوق إلى نغمات المطرب ورنة الغريد . وإن الكلمة البليغة لاتمل ترداده الأفواه ، والبيت الرقيق لاتسأم من تكراره الأسماع

لقد سقت هذه المقدمة بمناسبة ما قدمه الشاعر الكبير الأستاذ عزيز أباظة للمسرح فى تلك الأيام.. ألا وهو مسرحيته الشعرية « غروب الأندلس »

وإذا كان الأستاذ قد أتحف المسرح بمسرحيات قيس ولبنى ، والناصر ، والعباسة ، وشجرة الدر، فإن مسرحية غروب الأندلس التى تعرض الآن فى دار الأوبرا تعد أقوى ما ألف وأبدع ما نظم من حيث عمقها وبحثها وراء الأسباب التى تنهار من أجلها الشعوب، ومن حيث حكمها وما فيها من توجيهات يجب أن يأخذ بها من يريد للأمم حياة كريمة وصونا من الأفول والزوال

ولعمرى إن مأساة العرب فى الأندلس لتذهب النفس عليها حسرات، وتسكب الدموع أسى وحزنا على ذلك المصير الذى أرداها فيه ما كان عليه زعماؤها وأمراؤها من تطاحن وتنازع وتفرق كلمة وانغماس فى الملاذ والشهوات، والاستعانة بالأجنبى الطامع لقهر الأهل وذوى القربى

ولقد كان الأستاذ عزيز أباظة وهو يستوحى التاريخ يتمثل حال مصر فى عهودها البائدة ، عالما بأسرارها مطلعا على خباياها لما له من خبرة ومنزلة، فتغلى مراجل غضبه ويثور الغيظ فى قلبه فيسكبه شعرا تلمس فيه حرارة التأثر مما رأى وبلاغة التأثير فيمن يسمع ويروى

ويذكر المؤلف فى مقدمة المسرحية أنه نظمها قبل أن يبعث الله لمصر ٢٣ يوليو روحا طاهرا وثابا فى جيشها الكريم فيتدارکها من السقوط فى هوة لايدرك لها قرار . وما من شك أنه قد أضاف إليها شيئا قل أو كثر بعد هذا البعث الذى نشر مصر على أيدى

أبنائها الأخيار

كم شقيت مصر فى عهودها البائدة وتعثرت فى خطاها إلى المجد فلم يقلها من عثرتها أولئك المهيمنون عليها ، ولم ينهضوها من كبوتها مخافة أن تحرمهم مما انغمسوا فيه من ترف السفهاء وشره الجبناء ؟ وأراد الله أن يعجل نهايتهم فجعل فى آذانهم وقرا فانكبوا يخضمون ويلغون لاتنغص عليهم لذاذاتهم هذه الأنات المكتومة والزفرات المحمومة . وزادهم الله ضلالا فجعل على أبصارهم غشاوة أعمتهم عن رؤية النذر والنظرات الصاعقة المتوعدة ، وأملى لهم فساق لهم عبيدا يمينونهم على اقتراف آثامهم واجتراح كبائرهم فكانت الأقلام الحرة تقصفها القوة الغاشمة ، والعزمات الأبية تكبلها القوانين الظالمة ، والأفواه الناطقة تقفلها الأيدى الملطخة بدماء الأبرياء . ويا ويل الأمة المغلوبة على أمرها المنكوبة بالقوى بسبب مايغتصبه رؤساؤها من دماء أبنائها وهم يتطاحنون على السلطة ويتنافسون على بلوغ المناصب بكل الوسائل ، فيكيد بعضهم لبعض ، ولا يرضى هذا أن يجئ الخير على يدى ذلك ، ويضيع أحدهم خيرا محققا فى سبيل ماسيكون فى بطنه يوم القيامة نارا تتلظى وفى الدنيا سبة وخزيا ، لكنه حريص على المنصب ولو كان يكتنفه الصغار وتحيط به الذلة والمسكنة . ومن حول الأمة أعداء طامعون فى تمزيقها حريصون على استعبادها عاملون على توسيع شقة الخلاف بين أفرادها الذين تفرقوا شيعا وراء المتزعمين الضالين .

إن مسرحية غروب الأندلس وبصدقها التاريخ تعرض لكل هذا فى حبكة فنية وتسلسل متماسك وبيان أخاذ ، ولن تقلب صفحة من المسرحية وأنت تقرأ ، ولن تمر لحظات وهى تمثل إلا رأيت وسمعت حكمة بليغة تقع على مافى نفسك موقع البلسم الناجع على الجراح الأليمة فلا تملك إلا أن تمنحها التقدير والإعجاب

ولا تسكت المسرحية عن التعرض للمعاهدات التى يعقدها القوى مع الضعيف ، وآثارها الوخيمة ، وذلك التخريج والتأويل الذى يفسره صاحب القوة كما يشاء .

الأمر للأقوى يؤوله كما شاءت له الأطماع والأهداف

ولا يغفل عن الطرق الملتوية التى يسلكونها اكتسابا للوقت وهم يمدون حبال الآمال وخيوط الأمانى الواهية فيسوق على لسان الحبر وزير فردينان وهو يخاطب إيزابلا

لا تقطعى الأمر حتى تصح منا المزعمه
والخير أن تستمر المفاوضات المقيمه
تظل تلهى فتوهى عرى الأمور الجسيمه

ولم يفت الشاعر أن يصور لنا هذه النفسية الوضيعة بطريقة مرحة وهى تداهن وترائى وتغير آراءها وتتلون ، زاعمة أن ذلك هو السياسة الرشيدة والله يعلم أنها الخسة والصغار . فالمسرحية تمثل لك ذلك فى شخصية أبى القاسم وزير العرب فى الأندلس أيام غروبها حتى الزواج بالفرنج ومساوئ الضرائر قد وجد له نصيبا فى المسرحية وكان له فى الغروب تأثير

وبين هذا العبوس والظلام ، وفى وسط هذه المحن والآلام ، لا ينسى الشاعر فى مسرحيته ذلك الحب ورقته ، ورأى النساء فى الدلال الذى قد يبعد الحبيب وقد يجره مطواعا ، وبين الاستجابة التى قد تدنيه أو تنئيه

إن هذه المسرحية مسوقة لتكون عظة للشرق وعبرة ، ولا خير فيمن لايتعظ بماضيه ، فإن الشرق فى الواقع لم يصب بالكوارث ولم تحيفه الخطوب تحيف المقراض ، ولم يصبح نهبا مقسوما ولقمة سائغة لا تشجى عند ابتلاعها حلقوما ولا تغص حلقا إلا لتفرق كلمته . ويا ليت أعداءه حسبوا أهله جميعا فهابوهم ، بل عرفوا أنهم شتى وأن بأسهم بينهم شديد

وإذا كنت قد ذكرت لك طرفا مما فى المسرحية فإن مافاتنى ذكره كثير . ولم أرد أن أسوق لك نماذج عديدة من حكمها الغوالى ماذلك إلا لكى ترى وتسمع بنفسك ، وعلى كل شيخ وشاب أن يعمل على رؤية المسرحية فهى للشيوخ زاجر وواعظ يدعوهم إلى أن يتركوا خلافاتهم أو يدفنوا أنفسهم حتى لايضرنوا أوطانهم . وهى للشبان حافز ودافع يدعوهم إلى أن يجعلوا أنفسهم للوطن جنة وعدة تقيه السوء وتحميه من كيد الكائدين ، ولا ينساقوا وراء الدجالين والمتزعمين المضللين . فإلى الأستاذ الكبير والشاعر المبدع عزيز أباظة أبعث تحية الإعجاب بهذه المسرحية ، راجيا أن يقدم للمسرح مثلها أخوات

عبد الستار أحمد فراج

البريد الأدبي

إلى هالة

للدكتور عبد الوهاب عزام ابنة تدعى هالة وهى صغرى بنـاته . وقد رافقت هالة أباها إلى جـدة حين كان وزير مصر المفوض لدى الدولة السعودية العربية ، ثم رافقته فى سفره إلى كراتشى حين عين سفيرا لمصر فى باكستان . وكانت تقدم القهوة إلى أبيها فى ليالى رمضان ، وتحرص على أن تصنعها بنفسها وتقدمها وتأبى أن يشاركها أحد . ثم تجلس إلى أبيها بعد العشاء ، فيحدثها حديث شيخ الأرانب ، وهو حديث طويل بدأ فى جدة ، واستمر فى كراتشى ولم ينته . وكان يملى عليها الحديث فى كراتشى فتكتبه ثم تصور بعض مناظر الحديث تصويرا دقيقا ؛ فصورت الأرانب وهى قائمة للصلاة ، وصورا أخرى .

وسافر الدكتور عبد الوهاب عزام إلى كراتشى فى هذه المرة وحده ، وبقيت هالة فى مصر ، فأرسل إليها شوقه وحنانه الأبوى بهذه الأبيات :

أهالة إن شط المزار فإننى   إليك ، على نأى الديار ، قريب

حديثك عندى ، والخيال يطيف بى ،   له فى خيـــالى جيئة وذهوب

ولكننى والحق أشتاق قهوة   يضوع شذاها فى يديك ، تطيب

تزفينها بعد الطعام محرماً   لغيرك فيهـا شركة ونصيب

وأشتاق من شيخ الأرانب مجلساً   أحدث فيه والخيال خصيب

وخطك ما أمليـــه تسطير حاذق   وضحكك منـه ، والحديث عجيب (١)

وتصوير ما سطرت تصوير حاذق   يزيد بيانى روعة ويجيب

لأذكر صفا للأرانب قائمـاً   يصلى منيبا ، من رآه ينيب

يكاد من الإتقان يسجد خاشعا   ويسمع منه فى الخشوع وجيب

وجمعـــا دعاه للصلاة مؤذن   وأحسن فيه قارئ وخطيب

فليتك عندى كى أتم حديثها   وذلك تحديث إلى حبيب

كراتشى :   عبد الوهاب عزام

(١) ويجوز أن يكون هذا الشطر : وضحكك منه ، والكريم طروب

شونبرون لا شمبرون

قرأت قصيدة الشاعر الكبير عزيز أباظة وأسمح لى حضرته أن أوجه نظره إلى غلطتين :

الأولى — غلطة فى اسم قصر « شمبرون » إذ صحة الاسم « شونبرون » وهو القصر الذى اعتقل فيه ابن نابليون بعدما هزمت جيوش الحلفاء وعدد جنودها ٠٠٠ و ٣٠٠ الجيش الفرنسى الذى كان تحت إمرة نابليون نفسه وعدد جنوده ٠٠٠ و ٥٠ فى واقعة واترلو المشهورة فى ١٨ يونية سنة ١٨١٥ وفى أثرها تنازل نابليون عن العرش فى ٢٣ يونية سنة ١٨١٥ ثم سلم نفسه إلى إنجلترا ، والحكومة الإنجليزية نفته إلى جزيرة سانت هيلانة وبقى فى المنفى إلى أن توفى فى ٥ مايو سنة ١٨٢١ وعمره ٥١ سنة

أما ابنه — وكان عمره أربع سنوات وبضعة شهور — فقد أطلق عليه أبوه عقب ولادته لقب ملك روما ؛ إلا أن مارى لويز لما تزوجت بعد نفى زوجها إلى جزيرة سانت هيلانة سمته أمير بارم ؛ ثم سلمته إلى أبيها فرانسوا الثانى إمبراطور النمسا فسماه دوق دى رايشستاج ؛ ولكن فرنسا آثرت أن يبقى له لقبه الأصلى الذى تلقاه عن أبيه وهو ملك روما . وكان الحلفاء أرادوا تنصيبه ملكا على بلاد اليونان أو على بلاد بولونيا ، إلا أن البرنس مترنيك كبير وزراء إمبراطورية النمسا اعتقله فى قصر شونبرون وبقى معتقلا إلى أن توفاه الله فى ٢٢ يولية سنة ١٨٣٢

وقد زرت هذا القصر قبل قيام الحرب العالمية الأولى ورأيت من آثاره التاريخية سرير ابن نابليون وهو السرير الذى قدمته بلدية باريس هدية إلى الإمبراطور نابليون عقب ولادة ابنه فى ٢٠ مارس سنة ١٨١١

الثانيــة — غلطة لغوية فى قوله (واحتوتنا سيـارة تنهب الأرض) وكلمة « تنهب الأرض » غير صحيحة والصحيح تنتهب الأرض

عزيز فانكى

١ — لمن هذا الشعر

أخبرنى صديق القصاص الموصلى الأديب جلال الخياط —

وهو يعرف ولعى بجمع شعر شوقى وتتبع آثاره — أنه قرأ فى كتاب لا يذكر اسمه الآن هذين البيتين منسوبين إلى شوقى مع القصة التالية :

فى عهد الخديو عباس حصلت جفوة بين الأمير وشاعره ؛ وبعد توسط الوزراء قابل شوقى الخديو فى مقره الرسمى وكان بينهما عتاب فارتجل شوقى البيتين التاليين :

أليس من العز المنيع أن ترى أمير القوافى فى ركابك جاثيا
فوالله لولا العرش الذى أنت ربه لما زعزعتنى قوة من مكانيا (١)

واستدل الأديب الموصلى بقوله « أمير القوافى » أنها لأبى على ، أما أنا فلم أقرأها فى مكان ؛ فهل هى لأمير الشعراء أم لغيره ؟ هذا ما أحب أن يتفضل علىّ به القراء الكرام

٢ — عودة الرواية

قرأت الإعلان الذى نشر مؤخراً بمجلة «الرسالة» عن عودة مجلة «الرواية» إلى الظهور لقراء العربية فغمرتنى نشوة من الفرح. وكيف لا يفرح مثلى وقد كانت خير موسوعة للقصص العربية الموضوعة والعالمية المترجمة . ومن عرف أن أستاذنا الجليل الزيات صاحب البيان الساحر والقلم الشاعر سيقدمها إلى قرائه المعجبين يدرك كيف ستكون، وليس لى الآن أمد يدى مصافحاً ومهنئاً ذاته العظيمة وقراءه الأعزاء بهذه البُشرى السارة فإلى الأمام ياصاحب (دفاع عن البلاغة)

بغداد عبد القادر رشيد الناصرى

(١) أورد لى صديقى صدر البيت على هذه الصورة وهو غير مستقيم وقد حاولت اصلاحه بهذه الصورة (فوالله لولا العرش إذ أنت ربه)

رد ونقد

خطأ بعضهم استعمال (نعاه ينعيه) واستشهد بقول الشاعر :

زعم العواذل أن رحلتنا غدا وبذاك (ينعانا) الغراب الأسود

وأقول إنه ورد فى بعض المؤلفات القديمة فقد جاء فى (حياة الحيوان) فى الكلام على (البوم) ما نصه : ورأيت فى بعض المجاميع بخط بعض العلماء الأكابر أن المأمون أشرف يوما من قصره فرأى رجلا قائما وبيده فحمة وهو يكتب بها على حائط قصره ، فقال المأمون لبعض خدمه اذهب إلى ذلك الرجل وانظر ما يكتب وائتنى به، فبادر الخادم إلى الرجل مسرعا وقبض عليه وتأمل ما كتبه فإذا هو :

يا قصر جمع فيك الشوم واللوم متى يعشش فى أركانك البوم
يوم يعشش فيك البوم من فرحى أكون أول من (ينعيك) مرغوم

ثم إن الخادم قال له أجب أمير المؤمنين فقال له الرجل سألتك بالله لا تذهب بى إليه . فقال الخادم لا بد من ذلك ثم ذهب به . فلما مثل بين يدى المأمون أعلمه الخادم بما كتب، فقال له المأمون ويلك ما حملك على هذا ، فقال ياأمير المؤمنين إنه لن يخفى عليك ماحواه قصرك هذا من خزائن الأموال والحلى والحلل والطعام والشراب والفراش والأوانى والأمتعة والجوارى والخدم وغير ذلك مما يقصر عنه وصفى ويعجز عنه فهمى، وإنى يا أمير المؤمنين قد مررت الآن عليه وأنا فى غاية من الجوع والفاقة فوقفت مفكرا فى أمرى وقلت فى نفسى هذا القصر عامر عال وأنا جائع ولا فائدة لى فيه فلو كان خرابا ومررت به لم أعدم منه رخامة أو خشبة أو مسمارا أبيعه وأتقوت بثمنه، أو ماعلم أمير المؤمنين ماقال الشاعر؟ قال وما قال الشاعر ؟ قال :

إذا لم يكن للمرء فى دولة امرئ نصيب وإحسان تمنى زوالها
وما ذاك من بغض لها غير أنه يرجى سواها فهو يهوى انتقالها

فقال المأمون أعطه يا غلام ألف دينار ثم قال له هى لك فى كل سنة ما دام قصرنا عامرا بأهله »

وجاء فى (نور الأبصار) فى الكلام على (مناقب السيدة فاطمة بنت الحسين) ما نصه : لما قتل الحسين رضى الله عنه جاء غراب فتمرغ فى دمه وطار حتى وقع بالمدينة على جدار فاطمة بنت الحسين ابن على رضى الله عنهما وهى الصغرى فرفعت رأسها ونظرت إليه وبكت بكاء شديدا وأنشأت تقول :

نعق الغراب فقلت من (تنعيه) ويحك يا غراب
قال الإمام فقلت من قال الموفق للصواب

الخ ... فنعته لأهل المدينة فما كان بأسرع من أن جاءهم خبر قتل الحسين رضى الله عنه انتهى

أما الشاهد فلا أعرفه وأخشى أن يكون محرفا عن بيت النابغة وهو :

زعم البوارح أن رحلتنا غدا وبذاك تنعاب الغراب الأسود



كرد على

للقصصي الروسي بوشكين

« كرد على » بلغارى بمولده . وهذا اللقب فى اللغة التركية يطلق على ذوى الجرأة والقوة ، ولا أعرف ماهو أصل الاسم الذى يتسمى به بطل هذه القصة فقد أطلق عليه لقب « كرد على » وعرف به وأصبح شخصية مخوفة مرعبة فى أنحاء « مولدافيا » لكثرة مايرتكبه من العدوان

ولما أعلن إسكندر أبسلانتى الثورة وأخذ فى حشد المتطوعة جمع له كرد على أصحابه الفداى من قطاع الطرق ومن على شاكلتهم وكان هؤلاء لايدركون حقيقة السبب فى نشوب الثورة؛ فقد كان مثيرها يبغى من ورائها تحرير اليونان . ولكنهم كانوا يرون فى الحصول على الثروة من أسلاب الأتراك أو أهل مولدافيا سبباً كافياً لنشوب أية ثورة

وكان إسكندر أبسلانتى شجاعاً، ولكن لم يتوافر لديه من الصفات ما يكفى لتنفيذ المهمة التى اضطلع بها ، فلم يستطع السيطرة على رجاله الذين لم يكونوا يحترمونه ولم يكونوا يثقون به

وبعد الموقعة التى أفنى فيها زهرة الشباب اليونانى أشار عليه يوردا كى أليبولى بالتخلف . وتولى هو مكانه . وهرب أبسلانتى إلى حدود النمسا ثم أرسل لعناته إلى الشعب الذى كان يقوده واصفاً رجاله بأنهم خونة جبناء سفلة

ولكن هؤلاء الموصوفين بالخيانة وبالجبن هلكوا تحت أسوار معبد سيكوا أو على ضفاف نهر بروث وهم يدافعون دفاع المستميت جيشاً يربو عدده على عشرة أمثال عددهم

وكان كرد على فى فرقة جورج كانتا كوزين الذى يصح أن يقال عنه ماقيل عن أبسلانتى

وفى الليلة التى حدثت فيها موقعة أسكولانا استأذن كانتاكوزين السلطات الرسمية ، وتخلف عن فرقته منضما إلى جيشنا فبقيت فرقته بغير قائد ، ولكن كرد على وسفيانوس وكانتاجونى وغيرهم لم يكونوا بحاجة إلى قائد

والبيت قبل علاجه من عيب (الإقواء) هكذا :

زعم البوارح أن رحلتنا غدا ... وبذاك خبرنا الغراب الأسود

انظر قصة البيت فى الأغانى وغيره

على حسن هلالى
بالمجمع اللغوى

أين كنا . . وكيف أصبحنا ؟ ! . .

كنا سادرين فى ظلمات بعضها فوق بعض ، إذا أخرج الإنسان يده لم يكد يراها ، وقد تحالفت علينا العلل الاجتماعية ، والاقتصادية والسياسية . فأصبحنا نعيش فى النور ، تظلنا الحرية بلوائها الجديد ، وظلها الوارف المديد ! ...

كنا نعيش فى مجتمع أنهكته العلل ، ودب فيه الفساد ، وتغلغل فى كل مرافقه وأركانه ، وتحكمت فى مصيره طائفة صرفتها مصالحها الشخصية عن مصالح الوطن ، فأصبحنا نعيش فى مجتمع صححت أوضاعه ، وعولجت أدواؤه !

كنا أمة تفرقت كلمتها ، وتعددت أحزابها ، كل حزب بما لديهم فرحون . . يكيد بعضنا لبعض . . فضعفت قوتنا ، وتبعثرت جهودنا، وضربت الفوضى علينا أطنابها، وقعد الكثيرون عن العمل الجدى المثمر ... فأصبحنا أمة صهرتها الأحداث ، فجعلت منها كتلة واحدة ، يحدوها هدف واحد ، وتسعى إلى غاية واحدة ، شعارها « الاتحاد والنظام والعمل » !

كنا نعيش بلا أمل .. فأصبحنا نعيش والأمل يملأ قلوبنا ، والإيمان يعمر صدورنا ..

فأين كنا بالأمس ؟! وكيف أصبحنا اليوم ؟!

إنها رحمة الله الواسعة أدركتنا ، فانتشلتنا من وهدتنا ... ونعمته الكبرى أظلتنا ... فلنتحدث بنعمته ... ولنسأله المزيد من رحمته !

عيسى متولى

ولم توصف موقعة أسكولانا على مايظهر بالوصف الذى تستحقه فتخيل سبعمائة رجل من الألبان واليونان والبلغار وحثالات كل الأجناس وليس فيهم من يعرف شيئاً عن فنون الحرب ... تخيل هؤلاء أمام خمسة عشر ألف فارس من فرسان الجيش التركى العظيم

عسكرت هذه الفرقة أمام نهر بروث وأمامها مدفعان قل فى الفرقة من يعرف كيف يستعملان . وكان بود الأتراك أن يبدأوا بإطلاق النار ولكنهم فى تشبث وعناد أرادوا أن نكون نحن البادئين

وكان قائدنا بحمد الله لم يسمع قط صوت رصاصة تطلق ، فلما بدأ الجيشان بإطلاق الرصاص فى الهواء نفر سمعه ، ونفد صبره ، وتقدم جيشنا متوعداً الجيش التركى بثباته ثم ارتبك فلم يعرف ماذا يفعل . ثم بدا له أن يجرى فجرى على شاطئ النهر وجرى وراءه جيشه . وفى أثره كتلة الجيش التركى

وكان هذا القائد الذى هدد جيش الترك بإصبعه يدعى خوتنشفسكى ولا أعرف ماذا صار إليه أمره

وفى اليوم التالى هاجم الأتراك الثوار وعلى خلاف عادة الترك لم يستعملوا المدافع ، بل استعملوا السلاح الأبيض ، فكنت ترى الرمح فى يد كل جندى . ولم يكن الأتراك قد استعملوا الرماح من قبل . وكانت رماحهم روسية سلبوها من جنودنا فى موقعة سابقة . جرح كرد على فى تلك الموقعة ، وقتل سفيانوس . وكان كانتا جونى عظيم الجسم فأصابته حربة فى بطنه فاستل سيفه بإحدى يديه ، وقتل نفسه حتى لا يموت بسلاح العدو

وبانتهاء هذه الموقعة تم النصر للأتراك . وخلت مولدافيا من الثوار إلا ستمائة ألبانى تشردوا فى أنحاء بسارابيا . ومع أنهم كانوا لا يكادون يحصلون على القوت فإنهم كانوا شاكرين حماية روسيا وكانوا يرون جلوساً فى المقاهى الصغيرة فى بسارابيا التركية الروسية وعلى أفواههم أقداح القهوة . وقد أخذت الرثاثة تبدو على أكسيتهم الملونة وأحذيتهم الحمراء . ولكن طرابيشهم الحمر الطويلة ذات الزر الطويل كانت لا تزال مائلة إلى أحد الجانبين . وكانت الخناجر والمسدسات لا تزال على مناطقهم ، ولكن أحداً لم يشك فيهم ، فقد كان من المحال أن يتصور إنسان أن هؤلاء الساكنين بقية من ثوار مولدافيا زملاء كرد على وأن كرد على نفسه كان بينهم

على أن الباشا التركى علم بهذه الحقيقة وطلب إلى السلطات الروسية عملا بالمعاهدات أن تسلمهم إليه فاعتقلتهم ولم ينكر كرد على شخصيته ولم ينكر ماضيه وقال :

« ولكننى منذ عبرت نهر بروث على أثر الموقعة لم أمد يدى على أى إنسان ، وقد يكون الأتراك وأهل مولدافيا محقين فى عداوتهم إياى لأنى كنت أقطع الطريق عليهم ، ولكننى ضيف على الروس فلماذا يسلموننى إلى أعدائى ؟ »

وبعد هذا القول لزم الصمت وانتظر فى هدوء ماتقضى به الأقدار فى شأنه . ولم يطل أمد انتظاره فإن السلطات لاتنظر إلى قطاع الطرق نظرة العطف التى يلقيها عليهم الكتاب والشعراء لانصرافهم إلى الجانب الروائى من حياتهم . ومن أجل ذلك سيق كرد على مكبلا بالحديد إلى السجن فكان يبدو من النظر إلى وجهه أنه ابن الثلاثين . وقد كان طويل القامة عريض الكتفين عظيم القوة عليه علائم الخشونة ، وفى نظراته زهو وسكينة

ودخل غرفته فى السجن موظف تركى أحمر الوجه أشيب الشعر يرتدى ثوباً عسكريا قد سقطت منه ثلاثة أزرار . وفى وجهه كتلة حمراء من اللحم مثقوبة تقوم فى ذلك الوجه مقام الأنف . وكان فى يده أوراق أخذ يتلوها وهو بين حين وحين ينظر إلى كرد على وهو يصغى إليه باهتمام

وبعد أن فرغ الموظف من القراءة طوى الأوراق وصاح فى خشونة بأن يحمل السجين إلى مدينة جاسى ، فالتفت كرد على إلى الموظف وتمتم فى صوت يتهدج ، وقد تساقطت من عينيه العبرات وتغير شكله تغيراً عظيما ؛ وعرته رعشة جعلت لأصفاده وأغلاله رنيناً أزعج الموظف فتقهقر ثم صدع السجين بالأمر فاستسلم للجنود الذين حملوه إلى عربة جرت به فى الطريق

قال موظف صغير لذلك الموظف العسكرى : « ما الذى قاله لك كرد على ؟ » فأجاب وهو يبتسم : « لقد طلب إلى أن أعنى زوجته وابنه اللذين يعيشان غير بعيد فى مدينة كيليا وهى من

قرى بلغاريا فإنه يخشى أن تؤذيهما الجماهير بسببه والجماهير حق

ووصل كرد على إلى مدينة جاسى لحوكم أمام الباشا فحكم بإعدامه ، ولكنه أرجأ موعد التنفيذ إلى يوم عيد . وحجز المحكوم عليه فى السجن إلى أن يحين الموعد

وتولى حراسته فى السجن سبعة أتراك هم فى صميم أنفسهم لا يختلفون شيئا عن كرد على لأنهم قطاع طريق مثله . ولذلك كانوا يحترمونه ويصغون فى دهشة ولذة إلى ما يقصه عليهم من الأحاديث

ونشأت بين السجين وبين حراسه مودة وصداقة . وفى يوم من الأيام قال لهم كرد على : « أيها الإخوان ! إن ساعتى قريبة وليس يستطيع إنسان أن يفر مما قدر عليه ، فسأترككم ولكنى أريد أن أترك لكم أثرا تذكروننى به »

أرهف الأتراك آذانهم ليسمعوا ، واستمر كرد على يقول : « أيها الإخوان ! منذ ثلاثة أعوام كنت من قطاع الطريق فى منسر ميخالاكى . ودفنا بالقرب من هذه المدينة آنية مملوءة بالمال . ثم منعتنا ظروف الثورة والحرب عن أن نستردها وسأدلكم عليها فهى لكم »

كاد الأتراك أن يفقدوا وعيهم ، وكان السؤال الوحيد الذى يخطر ببال كل منهم هو كيف يستطيع الوصول إلى مكان هذه الآنية . ورأوا أنهم لا يستطيعون ذلك إلا بإرشاد السجين نفسه . فلما أقبل الليل ، فكوا الحديد عن يديه ورجليه وربطوه بحبل ثم أطلقوه وساروا خلفه خارجين من المدينة

قادهم من مكان إلى مكان فمشوا مسافة طويلة . وأخيرا وقف أمام صخرة عظيمة وقال : هنا تحت هذه

وقف الأتراك يتدبرون . ولما استقر رأيهم أخرج أربعة منهم الخناجر ، وأخذوا يحفرون بها حول الصخرة . وبقى ثلاثة منهم فى الحراسة . وجلس كرد على فوق الصخرة ينظر ويترقب ؛ ثم قال بعد مدة : ألم تجدوها ؟ فقالوا كلا

فأظهر أنه فقد صبره وقال : من أى نوع من الناس أنتم ؟ حتى حفر الأرض لا تستطيعونه ؟ إننى كنت أفرغ من عملكم هذا فى دقيقتين . حلوا وثاقى وأعطونى خنجراً

ففكر الأتراك ثم قالوا : أى ضرر فى إجابته إلى ما يطلب ؟ نحن سبعة . فلنحل وثاقه ولنعطه خنجراً

وما أغرب الشعور الذى شعر به عند ذلك ! لقد تناول الخنجر وأخذ يحفر . وفى أثناء عمله أغمد الخنجر فى صدر أحدهم وتركه فى صدره واختطف من منطقة المصاب مسدسين

وما يزال كرد على إلى اليوم يقطع الطريق بالقرب من جاسى وقد كتب منذ أيام إلى حاكم المدينة يطلب إليه أن يترك فى مكان عينه خمسة آلاف ليقى ، متوعداً بأنه إن لم يرسلها فهو ميت لا محالة

وقد أرسل إليه هذا المبلغ

وهذا هو كرد على

ع . ل

مطبعة الرسالة